
أمة واحدة
العدد التاسع | رمضان ١٤٤٤هـ
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ
كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

الفهرس -رمضان ١٤٤٤





العدد ٩
رمضان ١٤٤٤
مجلة دورية تصدر عن قاعدة الجهاد
تهتم بشؤون المسلمين

تقبل الله منا ومنكم

رمضان كريم

الافتتاحية

منة الرحمن

في اغتنام شهر رمضان*

شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ

*للشيخ أبي يحيى الليبي -رحمه الله
شعبان-1426 هـ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين، وعلى من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ...ثم أما بعد .

فلحكمة يعلمها الله خلق سبحانه الخلق على صفات مختلفة، وأحوال للنفس متقلبة، وسجايا وطبائع متعددة، فجعل منهم الغني والفقير، والقوي والضعيف، والرقيق الرفيق والفظ الغليظ، والمجتهد الحريص والكسول المتهاون، ثم أرسل لهم رسله وشرع لهم شرائعه بما يسمو بهم عن دني الصفات، ويزكّي قلوبهم من رين المعاصي ويطهرها من سخيف الشهوات، وينوِّرها من ظلمات الريب وحوالك الشبهات، ويُجلي البصائر الكليلة عند عشو الجهالات، فجاءت أحكامه المحكمة موافقة لمطالب الفطر التي فطرها، ومرشدة للعقول وحاكمة لها عن التفلت لئلا تتجاوز حدودها، وزاجرة للنفوس ومانعة لها من اتباع أهوائها، فهي الحق الذي ليس بعده إلا الباطل، والهدى الذي ليس دونه غير الضلال، والنور الذي ما وراءه إلا الظلمات، والسكون الذي لا يُفارَق إلا إلى اضطراب، والانشراح الذي لا يقابله إلا الضنك والضيق،: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ «طه 124-126» ،

وقال الحكيم العليم:

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ





أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ «المائدة 50»، وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ «آل عمران 164»، فمن آمن بربه، واستسلم له بجوارحه وقلبه، وأذعن لشريعته ظاهراً وباطناً، طابت بذلك نفسُه فآتت أكلها، واستقامت أحوالها، وحصَّلت زكاءها، ونالت تقواها، وهو الفضل العظيم الذي ما بعده فضل، والنعمة البالغة التي لا تعدلها نعمة، والمنة السابغة التي لا تقابلها منة، كيف وما ذلك إلا لازدياد رسوخ قدم العبودية لله سبحانه، وسير في الصراط المستقيم والطريق القويم الذي لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا، والذي نسأل الله كل يوم مراراً أن يهدينا إليه وفيه ويثبتنا عليه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ «الفاتحة 6-7 »، وهو منتهى الطلب، وغاية الأرب، قال الله سبحانه ممتناً على عبده ورسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ «النساء 113» ، وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ «البقرة 231»، وقال عز من قائل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ «الحجرات 7-8» فالمسلم مستسلم، والمؤمن مطمئن، بأن أحكام الله كلها حِكَم عُلِم منها ما علم وجهل ما جهل، وجميعها رحمة، وكلها خير وفضل .

ولما كانت النفوس كما ذكرنا، من شرودها إن لم تُلجم، وكللها ومللها إذا لم تُرَح، جعل الله سبحانه وتعالى شرائعه وأوامره وأحكامه مقسمة على أوقات وهيئات تلائم صفات النفس المختلفة وتناسب طبائعها المتنوعة فأعطت كلَّ ذي حق منها حقه، وأوفته نصيبه ..بلى فإنها شريعة مَن خَلَق لمن خُلِق وهو أعلم بحاجياتها ومواطن ضعفها وقوتها، ومكمن قَبولها وشرودها: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ «الملك 14 »



وها نحن اليوم نقف على أبواب موسم من مواسم الرحمات، ونستقبل نسيماً من نسائم البركات، تعظُم فيه الطاعات، وتتضاعف الحسنات، وتُكفَّر السيئات، وتفتح أبواب السماوات، وتُكبَّل وتصفَّد فيه مردة الشياطين، وترطب وتُبلل أكباد الفقراء والمساكين، ويُلجم فيه كثيرٌ من أهل العصيان عن عصيانهم، ويرجع التائهون الشاردون إلى ربهم، لياليه خير الليالي، وأيامه من أفضل الأيام، فضائله لا تحصى، وهو منبع فيَّاض ومعين صاف يغترف منه لنيل التقوى، فيه ينادي المنادي: يا باغي الخير أبشر، ويا باغي الشر أقصر، تُفتَّح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران .. ألا وهو: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ «البقرة 185» ، كتب الله صيامه فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ وهوَّن عليهم طول أيامه، وواسى قلوبهم بالاقتداء بمن سبقهم، والاهتداء بهديهم رحمة بهم وحضاً وتحريضاَ لهم، وقطعاً لعلائق النفوس التي قد تكبلهم وتكسِّلهم فقال: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ «البقرة 183-184» ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم معرِّفاً لأمته بمكانة هذا الشهر العظيم، ومبيناً لهم فضائله، ومرشداً لاغتنامه، وحاثاً للحرص على لياليه وأيامه، جاعلاً لهم من نفسه في ذلك القدوة الحسنة قولاً وفعلاً، فهديه في ذلك كله خير الهدى، ونوره أفضل وأعظم ضياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ «الأنعام 90»، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ «الأحزاب 21» ، فمما أبانه النبي صلى الله عليه وسلم من فضائل هذا الشهر الكريم ومنزلة صيامه وقيامه، والتي تجعل النفوس تحرص أشد الحرص عليه، وتجتهد في الإخلاص لله بالعمل فيه:

أولاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)، وقال أيضاً: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)، وقال أيضاً: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليها كلها.

ثانياً: عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون) متفق عليه.

ثالثاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته، وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك) متفق عليه

رابعاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - لما حضر رمضان -: (قد جاءكم شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم) رواه أحمد والنسائي والبيهقي .





والأحاديث في ذكر فضائل هذا الشهر الكريم، والتي تبين تضاعف الحسنات فيه، وتحرض على اغتنام أوقاته لا تكاد تحصى، وليس المقصود تتبعها في هذه العجالة، وفيما أشرنا إليه كفاية لمبتغي الخير، فحريٌ بكل ناصح لنفسه، حريص على تزكيتها، راغب في الخيرات لها، صادق في طلب درجات الجنان العُلى، أن يُهيأ نفسه لذلك بالتشمير عن ساق الجد وساعد الاجتهاد، فيصلح من حاله بكثرة القربات، ويُنير قلبه بتنويع الأعمال الصالحات، ويؤدِّب نفسه بمحاسن الأخلاق وآداب الربانيين، ويأطرها أطراً لئلا تحيف به عن سبيل المؤمنين إلى رذائل العصاة المتهوكين، ولا ينبغي أن تقصر في ذلك همته، وتتوانى جوارحه، ويتبع هواه، ويتمنى على الله الأماني، فما هي إلا أيام معدودات يوشك أن تنقضي يفوز فيها من يفوز ويخسر من يخسر، ولا يعلم أحدنا أيدرك قابلَه حياً قوياً صحيحاً معافىً قادراً طائقاً لما تيسر له اليوم أم يكون في بطن الأرض ورهين التراب، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر الكريم أكثر اجتهاداً على طرْق أبواب الخيرات بأنواعها، معرفة منه بفضله، وتعريفاً لأمته بمكانته، وإرشاداً إلى سلوك سبل الهدايات فيه ظاهراً وباطناً، محذراً من خيبة وخسران من ضيَّعه وفرط فيه، ناعياً من قعد يمني النفس ويعدها ولا يحرك لها في ذلك ساكناً أو يسكن متحركاً حتى إذا انفرط الوقت وانقضت الأيام وولى الشهر وقد رأى ما ناله أهل الطاعة والصبر عليها من الشرف والزكاء: (قال يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً)، ولكن هيهات أن يرد الندم فائتاً، أو يعوِّض ضائعاً، فعلى المسلم أن يجدّ في تحصيل كل خير تيسرت له أسبابه وفتحت أمامه أبوابه، فالصغير يكبر، والكبير يعظم، والقليل يكثُر، ولا يحتقرنَّ من المعروف شيئاً، ولا يزهِّدنَّ نفسه في شيء القُرَب، وليقتدِ في ذلك بأسوته وقدوته صلى الله عليه وسلم الذي كان الناصح الشفيق علينا بقوله وفعله الموصوف من عند ربه بقوله عز وجل عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ «التوبة 128» فذي بعض أخلاقه و سننه وإرشاداته فلتعض عليها بالنواجذ ولتحذُ حذوه وتخطُ في ذلك خطوه:

منها: الإكثار من الصدقات وأنواع الصلات، وتلاوة القرآن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فَلَرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) متفق عليه.

ومنها: الحرص على تفطير ما استطعت من الصائمين لتنال من الأجور مثلما نالوا فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: (من فطَّر صائماً، كان له مثل أجره، غير أنه لا يُنقص من أجر الصائم شيء) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

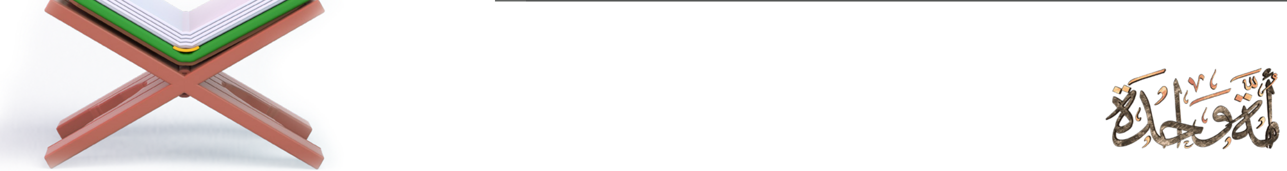
ومنها: الإخلاص لله سبحانه وتعالى في الصيام والقيام، وإبعاد القلب عن شوائب الرياء ومفاسد المقاصد لينال بذلك أعظم عطاء في رمضان على الإطلاق وهو مغفرة ما تقدم من ذنبه كما مر في الأحاديث السالفة.

ومنها: الاجتهاد في قيام لياليه لا سيما في العشر الأواخر منه والتي فيها ليلة هي خير من ألف شهر ألا وهي ليلة القدر، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كان


المجاهدون يفطرون آخر صوم رمضان في إحدى ثغور أفغانستان

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحيى الليل وأيقظ أهله وشد المئزر) متفق عليه.

ومنها: الجهاد في سبيل الله بأنواعه قتالاً ، وإعداداً ، وإمداداً ، وتحريضاً ، وقياماً على أسر المجاهدين ، وإخلافاً لهم فيهم بخير ، فإن أعظم وأشرف غزوتين في تاريخ الإسلام كانتا في شهر رمضان، غزوة بدر وهو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، وفتح مكة الفتح المبين، والذي طُهِّرت به أشرف بقعة من نَجَس الشرك ورجس المشركين، وكما أن أجر المجاهد في شهر رمضان عظيم، فكذلك الصوم في الجهاد - لمن لا يضعفه ويذهب قوته - كبير، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) متفق عليه، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صام يوماً في سبيل الله، باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام) رواه النسائي وحسنه الألباني، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صام يوما في سبيل الله، جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض) رواه الترمذي، وصححه الألباني.



ومنها: الاجتهاد في الدعاء، وتحصيل أسباب إجابته من الإخلاص، وحضور القلب أثناء الدعاء، وخفض الصوت به، والاعتراف بالذنب والاستغفار منه، وتكريره ثلاثاً، وكثرة الإلحاح، والجزم في الدعاء، والاستيقان بالإجابة، وعدم الاعتداء فيه وغير ذلك، ولعل تعقيب آيات الصيام التي وردت في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ «البقرة 186» لعله إشارة إلى اغتنام هذا الشهر الكريم وتخصيصه بكثرة الدعوات لانفتاح أبواب السماء، وعن عبد اللّه بن عمرو قال: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد) رواه ابن ماجة وأخرجه الطيالسي بنحوه، وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.

وما أحوجنا اليوم لكثرة الدعاء، والتضرع إلى الله فيه، واغتنام ساعات الإجابة، لكشف هذه المصائب التي ألمت بالمؤمنين عموماً والمجاهدين خصوصاً، فلنرفع أيدينا إلى الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر الكريم، ونسأله سؤال مضطر قد مسه الضر، ونرجوه رجاء فقير ضعيف قد أوصدت أمامه الأبواب، ونتضرع إليه تضرع تائه انقطعت عنه أسباب الذهاب والإياب، وليكن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة يوم بدر، فعن عمر بن الخطاب قال: (لما كان يوم بدر، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك) رواه مسلم، ولنحرص على حض الضعفة من النساء، والأطفال، والعجزة، على ذلك فدعاؤهم باب عظيم من أبواب الفتح والنصر والرزق، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم) رواه البخاري.

ومنها: الابتعاد عن رذائل الأخلاق، وفاحش الكلام، وسفاسف الأمور، واقتحام المعاصي، وتعدي حدود الله، ومجالس اللغط، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم) متفق عليه، وعنه أيضاً قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري



وفي الختام نذّكر بهذا الحديث العظيم الذي تقشعر منه الجلود، وتوجل القلوب، وتشفق النفوس، ليكون لنا عظة وذكرى، وما أحوجنا إليها في كل حين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: آمين، آمين، آمين، قيل: يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت آمين، آمين، آمين فقال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين) الحديث رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له.

ونسأل الله أن يجعل هذا الشهر فتحاً للمجاهدين، وإيواء للمشردين، وأمناً للخائفين، وفكاكاً للمأسورين، وفرحة للبائسين، وآمالاً لليائسين، وقوة للمستضعفين، وتمكيناً للمختطَفين، إنه سميع قريب مجيب معين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده الأمين، وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى كل مهتدٍ بهديهم إلى يوم الدين.

(إن لله في كل يوم وليلة عتقاء من النار في شهر رمضان، وإن لكل مسلم دعوة يدعو بها، فيستجاب له)

[رواه أحمد بسند صحيح]



مباحث استراتيجية [٦]

إعلان الجهاد على العدو

استراتيجية إخراج الثعلب[١] من مخبئه (الاستفزاز)

الجزء الأول

أبو خالد الصنعاني

لا يمكنك القتال بفاعلية ما لم تحدد أعداءك .. تعلم كيف تخرج أعداءك من مخابئهم .. أعلن الحرب عليهم سرًا .. لا تكن ساذجًا .. بعض الأعداء التسوية معهم مستحيلة .. ولا حلول وسط .. استعن بالله ولا تعجز .. العوائق التي تواجهها ليست الطبيعة ولا البشر الآخرين، العائق الوحيد أمامك هو نفسك إذا ما شعرت بالضياع والإرباك، إذا ما فقدت الحس بالاتجاه الصحيح، إذا لم تكن قادرًا على التمييز بين الصديق والعدو .. فلا تلوم إلا نفسك.

تنهار القوة العسكرية مهما بلغت ضخامتها إذا فقدت طاقتها المعنوية .. وحدهم فقط أصحاب القلوب الثابتة الذين يملكون القدرة على إلهام الجميع .. هم القادرون على إنقاذ الموقف .. العودة إلى القتال أو النجاة كل منهما يقود للآخر .. المهم أن يكون قرار العودة مشحونًا بالقدر الذي ينجح المهمة .. وهنا تظهر معادن الناس وقوتهم النفسية التي حباهم الله بها.

نَفْسُ عصامٍ سوّدَتْ عِصامَا
و علمتهُ الكرّ والإقداما
وَصَيّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا
حتى علا، وجاوزَ الأقواما

في هذا الزمان، أدار العدو الصراع بطريقة غير مباشرة، واحترف إبقاء العداء بصورة خفية، لقد تغيرت قواعد الاشتباك الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، يدير الصراع اليوم وبالأمس القريب الأسر الثرية ورجال المال، ويسخرون الساسة وأجهزة المخابرات وجل مؤسسات الدولة، ومن خلال التلفاز والسينما والإنترنت؛ بلغ الإعلام فضاءً لا مثيل له، وتعددت وتنوعت وسائله وأدواته بفعل التطور التقني، حيث يتم تصدير الثقافة والعادات والتقاليد، والأدهى والأمر حشو عقول الناس بوهم تحالف الأديان الإبراهيمية[٢]، إنه صراع القوة الناعمة؛ الذي يدس السم في الدسم، قلة تنتبه للإشارات والعلامات، لكن كثير من الناس يغفلون عن تسللها لتعبث بإرثهم الثقافي والاجتماعي، وتحولهم إلى مسخ تابع مهوس بالتقليد.

نبعت عبقرية [قاعدة الجهاد] من هذه الاستراتيجية، وحُقَّ لأسامةَ بن لادن أن يكون فارسها، وأن يتسمى هذا الجيل باسمه.

إعلان الجهاد على أمريكا، إنذار للعدو وتمهيد لضرب السفارات، لنسف المدمرة كول، لدك رموز القوة داخل أمريكا، لإنهاء العداء الخفي لتتكشف الوجوه، وليستفيق الناس من تنويم القوة الناعمة على طبول الحرب للقوة الخشنة، كانت صدمة مدوية

١ قالها أبو جعفر المنصور بعد سلسلة طويلة من الحيل للقضاء على «النفس الزكية» محمد بن عبد الله بن حسن رحمه الله.

٢ تحالف عبثي يضم حكام المسلمين والنصارى واليهود ليتم استخدامه ك «ناتو» ضد التيارات الإسلامية على تنوعها وعلى رأسها حاملي السلاح وكذلك ضد أي قوى تهدد مصالح الغرب أو من يُسيّر الغرب، هذا التحالف لم يعد يخدع شعوب أمتنا الإسلامية ولذلك هو تحالف إعلامي منبوذ وبلا مقومات للنجاح.

إلا أنها أخرجت العدو من مكمنه، ومن سياق صراع ناعم أفسد العقيدة، وأضر بالإنسان وحوله لكائن باهت لا يدرك مراد ربه منه، طريقة الإفاقة كانت صادمة لأن السبات كان عميقًا، واستجابة الأمة كانت رائعة، فالقاعدة امتدت من تورابورا إلى شبه القارة الهندية شرقًا وإلى أقصى أفريقيا غربًا ومن العراق والشام شمالًا إلى اليمن والصومال جنوبًا، والأهم من ذلك انتشار المعرفة وزيادة الوعي وتحرك الأمة للتغيير حتى توجت ذلك بالثورات الإسلامية.

الخطر لا يقف على العدو الظاهر فقط، هناك من يدعي الولاء ويدعو للتحالف والشراكة والرفقة، ويتغنون بذلك في الظاهر لكنهم يتحينون الفرص؛ فتوجب الحذر منهم، والعمل على استدراجهم ليكشفوا نواياهم مبكرًا: الحليف هو أفضل من يعرف كيف يؤذيك، يتحالف معك وعليك، يعرض عليك المساعدة يمنحك الدعم المالي والسياسي، يرشدك لتكبر وتتضخم قبل الأوان، يزين لك التواصل مع اتجاهات هي مطبات مستقبلية، يحفر لك قبرك ومع كل خطوة يعمقه، ثم، يدعمك حيث مصلحته، ويتوقف عن دعمك لتتبعه، ليحقق هدفه بإبقائك ضعيفًا .. تابعًا .. ذليلًا.

أسوء الشركاء والرفاق هم الذين ينقلبون عليك خلال مسيرة التغيير،

الحليف هو أفضل من يعرف كيف يؤذيك، يتحالف معك وعليك،



ويحولون الشراكة إلى عداوة وتنغمس أيديهم في الدماء الطاهرة، ويشوهون شركاء الأمس كذبًا وافتراءً، خاصة عندما يزين لهم بعض من يشار لهم بالبنان سوء فعالهم؛ توهمًا أنهم قدر الله، الذين يستغلون إيمانك ودينك وتورعك عن فضحهم؛ ليهاجموك وهم على يقين أنك لن تسيء إليهم، إنها الطعنة الأكثر غدرًا، أسوء الطعنات؛ تلك التي تصيبنا من الشركاء، هل أسأنا الاختيار؟ أم إنه الخائن والخيانة؟، فقد قيل «مَا خَانَ أَمِينٌ قَطُّ وَلَكِنَّهُ ائْتَمَنَ غَيْرَ أَمِينٍ فَخَانَ»، هذه الشريحة يجب الانتباه لها وعدم تسويغ فعالهم والمبادرة لفض الشراكة معها أو لتبديلها إن كانت من داخل الصف قبل أن تستفحل؛ فبعض حسن الظن غفلة.

الحليف الأمثل للتيار الإسلامي هو الشعوب الإسلامية، هذه الشعوب هي التي أنجبتنا وهي التي تدعمنا بالمال والنفس بلا مقابل، شعوبنا كانت ومازالت الدرع الذي يحمي الدين، فعلى التيار الإسلامي أن يعبر عن الشعب المسلم بواقعية وأن يكون السيف الذي ترفعه الشعوب لتحقق طموحاتها، شعوبنا تتعطش للحياة تحت ظلال شريعة التوحيد فبها يقام العدل والتكافل، تتطلع لاستثمار مواردها الاستثمار الأمثل الذي يمنحها حياة طيبة؛ بعيدًا عن عبث الحكومات وسرقات الأنظمة، شعوبنا لا ترى السلطة غنيمة وإنما مسؤولية وواجبات ينهض بها المخلصون الذين يحررون العقل والأرض ويحرسونهما، ويتعين على المجاهدين أن يفتحوا مع شعوبهم كل الأبواب، ويعملون على إلهامهم لتحقيق غاياتهم ويقودونهم نحوها، وبهذا وغيره يتحقق الانسجام التام بين الدرع والسيف. ما يجعل الروح المعنوية للجند مرتفعة تحركهم في ظل منهج سماوي لا شائبة فيه، وتحت راية ورعاية قيادة ربانية تخشى الله وتتقيه فيهم، يعملون سويًا لتحقيق الأهداف التي يؤمنون بها، إن المعنى الحقيقي للروح المعنوية هو: وحدة الصف وتماسكه؛ إنه انعكاس للإيمان الراسخ والثقة المتبادلة.

تحالف عبثي يضم حكام المسلمين والنصارى واليهود ليتم استخدامه كـ "ناتو" ضد التيارات الإسلامية على تنوعها وعلى رأسها حاملي السلاح وكذلك ضد أي قوى تهدد مصالح الغرب أو من يسير الغرب

اضرب العشب لكي تجفل الأفاعي [مثل صيني]، ذلك الذي ليس معي هو ضدي [نص إنجيلي]، كان الحادي عشر من سبتمبر، أكثر من ضربة عسكرية، كان زلزالًا ميز الاصطفافات، وكانت توابعه فاضحة لما في العشب، تمايزت الصفوف، اجتمع الأعداء خلف رئيسهم في فسطاط وتحت رايته، أدركت شعوب الأمة الإسلامية مكانتها وموقعها في العالم وأين تصطف، وأدركت القاعدة دورها الريادي، فهي طليعة أمة.

مفهوم العدو استراتيجيا أوسع ممن يقاتلك، فهناك المتربصون وإن كانوا اليوم ضعفاء، إذا ما سقطت الفريسة أو جرحت اجتمعت عليها الضواري وتبعها القمامون، لفظ العدو يشمل كل من يعمل ضد مسيرة الإسلام ويضع أمامها العوائق أو يحفر بوجهها الخنادق أو يساند العدو ويوفر له الدعم المادي والمعنوي، والعدو هو من يعتدي على المستضعفين من الناس .. كل الناس، أيضًا؛ العدو هو من يجتهد لتدمير الإنسان

ومسخه، والعدو هو من يعبث بالكوكب ويستنزفه ويفسده ليحقق الثراء لنفسه والرفاهية لبلده. من الأعداء أيضًا الذين يتظاهرون بالإنصاف والاتزان عندما نكون في معمعة الصراع فبدلًا من بيان حقيقة العدو وفعاله الخسيسة ومدى بربريته، إذا بهم يغضون الطرف عن التاريخ الأسود للغرب الاستعماري، ويروجون لتقدمهم التقني، وتفوقهم العسكري بهدف كسر قلب الأمة لتستسلم لقوتهم الدعائية وتخضع لإرادتهم وتصبح عاجزة عن التغيير، إنها الهزيمة النفسية التي تفرخ هزائم في شتى المجالات، أليس هذا ما يفعله الملحدون والعلمانيون بأمتهم.

هناك من يكون لك نوايا سيئة ويتحركون بطرق خفية، كن حذرا لا مرتابًا، لاحظ الإشارات فليس كل ما هو ظاهر حقيقي، والطابور الخامس المندس في بلاد المسلمين بحاجة أن يُستفز ليعرفهم المسلمون ويتقون خطرهم، كما يحتاج أن يُستدرج ليظهر الذين يحركونه من أعداء الأمة وتنكشف وجوههم الكالحة.

إشكالية هذه الاستراتيجية تبدو جلية عند إعمالها في الصف الداخلي، حيث يترتب عليها إساءة الظن والشك والريبة والتوجس من الناس، وقد جاء عن معاوية ﵁: سَمِعْتُ[3] رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعْتَ الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ» فَإِنِّي لَا أَتَّبِعُ الرِّيبَةَ فِيهِمْ فَأُفْسِدَهُمْ. فسلامة المجتمع المسلم غاية؛ الحرص عليها أولى، ويمكن ضبط هذه الاستراتيجية بما أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»، ولهؤلاء الذين يضعون أنفسهم في أتون الشك والريبة عليهم أن يتحملوا نتاج ذلك، وعلينا الانتباه إلى الإشارات وإخضاعها للفحص ولا يمنعنا الورع الديني والأخلاقي عن ذلك، وبعض الاختبارات الذكية تكشف مكنونات صدور الحساد والمنافقين والجواسيس المندسين والانتهازيين، كادعاء الغفلة مع من تبدر منهم إشارات للريبة أو المبالغة في الود، فهذه الحيلة تجعلهم يتمادون ويفقدون حذرهم ويمنحون المحقق الماهر الدليل الذي يبحث عنه، وأحيانا تنجح حيلة تهيج المشكوك فيه وإثارة توتره ليطفح غضبه ويخرج ما أضمره، كذلك فإن الجدل الهجومي المبني على الاستفزاز والقدح أو المبني على المدح يأتي بثماره، ساعتها لا يصح لك أن لا تتخذ معه الإجراء المناسب.

٣[قال الشيخ الألباني] : صحيح، الأدب المفرد مخرجًا.

إعلان الجهاد على أمريكا، إنذار للعدو وتمهيد لضرب السفارات، لنسف المدمرة كول، لدك رموز القوة داخل أمريكا، لإنهاء العداء الخفي لتتكشف الوجوه، وليستفيق الناس من تنويم القوة الناعمة على طبول الحرب للقوة الخشنة



[لين بياو] أحد أقرب أصدقاء ومستشاري الزعيم الصيني [ماو تسي تونج]، مع بداية السبعينات لاحظ [ماو] تغيرًا في [لين]، لقد أصبح شديد الود ويكثر من المدح وبشكل محرج، كانت هذه إشارة [لماو] على أن وراء الأكمة ما وراءها، راقبه [ماو] عن كثب، كانت شكوكه في محلها، [لين] يخطط لانقلاب أو على الأقل يموضع نفسه لاستلام السلطة مكانه.

في الأوقات الحرجة والأزمات تكون الشعوب منفعلة؛ ويُؤَثر فيها أصحاب الأهواء والمصالح، وينقسم الناس تبعًا لكل ناعق، من نافلة القول أن الأزمات لا تأتي فجأة؛ فملامحها تلوح في الأفق، والعاقل يدرك خطر الأفاكين عندما تحل الأزمة؛ فمعركة الداخل هي الأصعب لأن عواقبها خطيرة، فهي بوابة للانقسام والتشرذم، وهي فرصة لا يفوتها العدو الخارجي ليزيد من ضعفنا وانقسامنا ومن ثم يمكنه استغلال الموقف على الوجه الذي يرضيه.

وبالتالي لا يجب أن نفسح المجال أمام الناعقين أو أن نمنحهم الوقت لانتهاز الفرص، بل نبادر لعلاج المتوقع في عدة اتجاهات، الأول: توعية الشعب بما هو آت، والثاني: عند كشفهم -بالسبل السابقة أو غيرها- فلا بد من مواجهتهم وفضحهم لقطع الطريق على من تسول له نفسه، الثالث: الحزم والجدية في معاقبة كل متورط، والعفو في غير موضعه كارثة، والتمادي في الحلول الودية يوهن الصراع ويسير به على درب الخراب.

الطابور الخامس المندس في بلاد المسلمين بحاجة أن يستفز ليعرفهم المسلمون ويتقون خطرهم، كما يحتاج أن يستدرج ليظهر الذين يحركونه من أعداء الأمة وتنكشف وجوههم الكالحة.

استراتيجية الاستفزاز

تجنب الصراع وتفادي المعارك في الحياة والهروب منها وصفة للفشل تفسح المجال للتنمر عليك، وسلبك كرامتك وعزتك ناهيك عن حقوقك، الانغماس في كونك ضحية لن يجلب لك حقك، حتى نظرة الشفقة ستفقدها مع الوقت، الشعوب التي تمهل النظام وتتفادى مواجهته تستعبد، وقديمًا قيل: (يا فرعون إيش فرعنك؟ فأجاب «ملقيتش حد يقول لي لأ»)، لهذا ستظل الوقاية -دائمًا وأبدًا- خير من العلاج.

من الخطورة الغرق في الارتياب والشك والاستسلام للوساوس، فما أسهل العبث برجل مرتاب يعيش في ظلال المؤمرات، من أجل أن لا نغرق في الشك ونصل إلى الوضوح في الرؤية نلتفت للإشارات والعلامات ونخضعها للتمحيص والمراقبة، ومن ثم نميز بين الصديق والأحمق والعدو، ثم نصنف الأعداء، ونحدد سبل التعامل مع كل صنف، ولا تستخدم العصا في موضع الكلمة، ولا السيف في موضع العصا. قيل: المهارة هي أن تخضع أعداءك بلا قتال، أو تؤلبهم على بعضهم البعض، لكن .. قمة المهارة أن تحول أعداءك إلى جزء منك؛ يؤمنون بك وينصرونك، وفي السيرة النبوية[4] العطرة قصص رائعة.

أغلب الدول والإمبراطوريات على مر التاريخ تظل حية وقائمة ومنافسة على الريادة لأمرين هما الأهم: المنهج الذي يربط المجتمع ببعضه ويصنع وحدة الصف وتماسكه، والعدالة التي تحفظ أمن الناس ووجودهم، فإذا توفر الأمران السابقان فالشعوب تصبر على الجوع والعطش، وإذا فُقد واحد من العنصرين السابقين اضطر الساسة إلى خلق عدو خارجي يوحد الأمة ضده، وإلا فإن العاقبة تفكك الصف وانهيار الوحدة الداخلية وبدأ الصراع الداخلي على السلطة.

في هذا الزمان نجح الغرب أولاً في إيجاد البديل للصراع الداخلي بالتنافس الانتخابي وتحول من تغيير حقيقي إلى تبديل للوجوه؛ فأن تُمثل دور المعارضة أفضل من أن تكون الضحية لصراع داخلي، وثانيًا قام الغرب دائمًا بعملية إلهاء وتسكين لشعوبهم بخلق عدو خارجي وتضخيمه؛ وبهذا يضمن الساسة -مؤقتًا- هدوء الداخل وعدم مطالبته بحل الأزمات الداخلية خشية من تهديدات عدو يتربص به [الاتحاد السوفيتي - التيار الإسلامي - روسيا والصين]، بغير ذلك ومع وجود شخص متهور ومستفز ومقامر [تاتشر - ترامب] تُنثر بذور الفرقة وما أن ترويها مياه التباين الداخلي حتى تنتهي وحدة الدولة وتماسكها، ويبدو هذا وشيكًا في كل الاتحادات [أوروبا وأمريكا وبريطانيا].

والأسوء من ذلك ساسة العرب؛ الذين لا يدخرون جهدًا لكسر وحدة الأمة وتمزيق تماسكها الداخلي لحساب العدو الخارجي، فعبثوا بعاطفة شعوبهم واستنزفوها في خصومات لا معنى لها، كما فعل ابنا زايد وسلمان بالخليج لترويض قطر، وجعلوا من استضافة رياضية نقطة انطلاق للخصومة بين سكان جزيرة العرب وستروا ما وراء الأكمة، وفي أقصى الغرب للأمة خطاب حاد بين المغرب والجزائر مع صمت وحالة من الخرس لتحرير سبتة ومليلية من الأسبان، ناهيك عن المنافسات الرياضية التي توقع الخصومة بين الشعوب، فهي من طرف تحشد الشعب وتستنزف عاطفته في منافسة فارغة، ومن طرف آخر تمزق الشعوب بعداوة وهمية لتشغلهم عن أزمات الداخل، وتمثل إلهاء يلفت انتباه الشعب بعيدًا عن خيانة وعمالة حكامه.

ومثلهم في السوء والضرر الحاكم الذي يضلل شعبه ويمارس معه صناعة الجهل .. ويجعل من نفسه

تجنب الصراع وتفادي المعارك في الحياة والهروب منها وصفة للفشل تفسح المجال للتنمر عليك، وسلبك كرامتك وعزتك ناهيك عن حقوقك، الانغماس في كونك ضحية لن يجلب لك حقك، حتى نظرة الشفقة ستفقدها مع الوقت، الشعوب التي تمهل النظام وتتفادى مواجهته تستعبد.

قام الغرب دائمًا بعملية إلهاء وتسكين لشعوبهم بخلق عدو خارجي وتضخيمه؛ وبهذا يضمن الساسة -مؤقتًا- هدوء الداخل وعدم مطالبته بحل الأزمات الداخلية

٤ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ وَاللَّهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ البخاري.

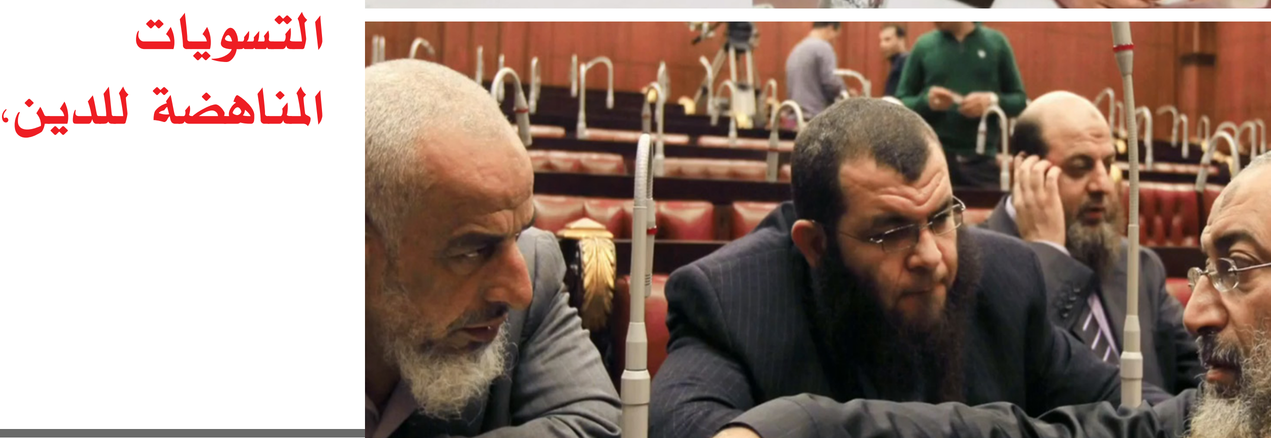
طاغية [مصر السيسي - تونس قيس سعيد] .. فيأسر النخبة المعبرة عن الشعب .. ويحارب المخلصين بالحديد والنار .. ويبيع بلده لأعداء دينه مقابل استقرار مستقبله؛ إنه خائن على كرسي الحكم.

ومهما فعل هؤلاء الحكام ومن خلفهم من حيل لتمزيق الأمة تأتي الحوادث لترأب الصدع، وحين تستثمر على وجه حسن تعيد ترابط الأمة وتلاحمها، رحم الله الطفل ريان المغربي الذي هزمت وفاته مَوات الحكام، وبعثت في الأمة روح الأخوة والتضامن، إنها أمة حية واعية وناضجة وتحضر للحظاتها التاريخية، وشعوب الأمة -ولله الحمد- على وعي بكثرة ما يربط بينهم مع إدراك للدور الخبيث للساسة.

هناك أعداء بارعون في الخداع يوحون لك بأن مساحة المناورة تغني عن ساحة الحرب، يوفرون لديك قناعة ورغبة في التسامح والتصالح والوصول إلى تسوية، لكن رغبتهم في الحقيقة لا حدود لها، هم بكل بساطة يحاولون تجريدك من السلاح.

لا بد أن ندرك أن صراعنا لا يقبل الترقيع ولا يتحمل التسويات المناهضة للدين.





يزعم البعض أنهم يتحركون للإصلاح، هذا وهم؛ فالإصلاح حركة تربوية لا تغييرية، إنهم يعملون من أجل تحصيل بعض المكاسب والمصالح من خلال التسويات مع النظام والفرقاء، ورغم أن التسويات في الميدان السياسي موهبة؛ إلا أنها تحمل في رحمها خطر الغرق في مستنقع التنازلات وتطييب الخواطر، ويتحول الصراع الداخلي على السلطة عن التغيير الحقيقي إلى مناخ عام تتبدل فيه الوجوه فقط، وتضل عملية التغيير طريقها، ويصبح من العسير العودة من هذا الدرب؛ بل يتمادوا فيه ويروجوا له.

لا بد أن ندرك أن صراعنا لا يقبل الترقيع ولا يتحمل التسويات المناهضة للدين، فإن كان لا يجتمع سيفان في غمد فمن باب أولى أن لا تجتمع عقيدتان في قلب، ولا تحكم أمة بمناهج مختلطة، يجب أن يظل مسار الصراع (السياسي والعسكري) واضحًا غير مميع دون خوف معاداة المخالفين، والمعارك تبقينا حراسًا يقظين لعقيدتنا، وبدون المعارك لا فرصة للنصر في الصراع، ومع النصر سنحظى بالهيبة والاحترام من شعوبنا، لأننا كنا صادقين في دعوتنا، ونصرنا ما نؤمن به ومكنا له.

البحث عن الحلول الودية مع العدو القوي يجلب الخراب،...

البحث عن الحلول الودية مع العدو القوي يجلب الخراب،لا تظن أنه سيفي بالتزاماته، وأن الخطوط المرسومة لن يتجاوزها، الأقوياء لا يعرفون خطوطًا حمراء، ولا يقبلون بالأنداد، سوف يقتحمون عليك الباب بقوتهم الناعمة أو الخشنة عند الحاجة، وسيفتعلون الأزمات ويستدرجونك إلى ناديهم؛ وحينما تنزلق إلى ملعبهم ستتحرك وفق قانونهم، وستلتصق بشباكهم ولافكاك لك منها، فلا تظن نفسك ذكيا في مواطن الخداع، ولن يرضى العدو منك لاحقا إلا بالتبعية المطلقة .. قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ {120} سورة البقرة.

الصراع جزء أساسي من الحياة؛ حتى قبل أن توهب الحياة، والإنسان يتعلم من أعدائه، وكثيرًا ما ألهمنا العدو بالاستراتيجية المناسبة للصراع، إن مجرد وجود العداوة ومقدمات الصراع تجعلنا متحفزين ومستعدين ومستنفرين ومتمسكين بعقيدتنا وقيمنا ومبادئنا وعاداتنا وتقاليدنا، ونحافظ بكل قوة عن موروثاتنا الثقافية ورموزنا الحيوية، وهذا يجعل مجتمعنا أمتن ونظامنا أثبت وأكثر فاعلية، ومعنوياتنا أعلى، وقدراتنا البدنية أقوى، وعزيمتنا صلبة، وتجعلنا أنشط ذهنيًا، وتجعل جاهزيتنا على أعلى مستوى.

الصراع يمنحنا مقياسًا لقدراتنا ويجعلنا نحكم على أنفسنا ونقيمها لنقومها، وهذا يدفعنا لبذل الجهد في شتى ميادين المعرفة للنهوض بأمتنا، وجعلها في الريادة دائمًا منهجيًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وتقنيًا وبالتالي حضاريًا.

***

ما وراء التطبيع مع إسرائيل

خبايا المصطلح ومخاطر آلياته

الجزء الرابع

بقلم: أسامة المقدسي

برز مصطلح (التطبيع) يلمع بريقه بعد زيارة الهالك أنور السادات إلى إسرائيل، وأخذ هذا المصطلح حظه من التمدد واختراق الأفهام والعقول البسيطة آنذاك دون مزيد تحليل وتمحيص، وبلغ ذروة تمكنه عندما تجاهل البعض الثابت القرآني المؤكد لأصالة العداء الديني في مسألة العلاقة مع اليهود، قَالَ تَعَالَى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾

المائدة: 82، بينما كانت إسرائيل تشرح وتثقف شعبها بمدلول هذا المصطلح في مناهجها الدراسية ومحاضنها الدينية، موضحة لهم بأن التصور الإسرائيلي اليهودي للتطبيع مع المسلمين، ما هي إلا مجرد علاقات سياسية لا تعدو أن تكون مرحلة من مراحل السيطرة اليهودية على أرض إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

وما إن تم التوقيع على معاهدة (كامب ديفيد) التي يعتبرها صهاينة العرب اليوم أفضل مثالٍ يُحتذى به لأي تطبيع قد يجري بينٍ دولة عربية مع إسرائيل، حتى اكتشف البعض بأن القضية تتعدى كونها معاهدة سلام وتطبيع إلى معاهدة استسلام يتم بموجبها فتح المنطقة العربية أمام النفوذ والسيطرة اليهودية، وتم كسر الحاجز النفسي بين المسلمين واليهود، وانتهت المقاطعة الإقتصادية على الصعيد الحكومي، مما فتح المجال لتوسع اقتصادي كبير في (إسرائيل) نتيجة فتح الأسواق العربية، غير أن أمرًا آخرًا كان أكثر أهمية لدى إسرائيل من التطبيع السياسي والاقتصادي والثقافي الذي نجحت في إنجاز أكثر أهدافها منه، ألا وهو التطبيع الشعبي والأمني بين شعوب المنطقة واليهود في الكيان الصهيوني، وتحقيق الاستقرار الأمني في المنطقة، وهذا ما لم تنجح فيه إسرائيل حتى الساعة، ويعد هذا الهدف من أهم الأهداف الأساسية من لعبة (التطبيع)، لأنه إن تحقق فسيؤدي إلى سيل كثيف من هجرة اليهود حول العالم إلى أراضي فلسطين المحتلة، مما يقرب اليهود من تحقيق حلم (إسرائيل الكبرى)؛ حيث إن قلة التعداد السكاني هو أكبر عامل معرقل لهذه الأحلام اليهودية في المنطقة.

(من المؤسف أن نشير إلى أن نجاحات اليهود في خدعة (التطبيع) تسببت بتراجعات كبيرة للغاية في العالم الإسلامي، كان من أشدها وأعظمها تأثيرا على المسلمين؛ وجود طبقة موالية لليهود كل الموالاة في عمق الداخل الإسلامي، مما تسبب في خلخلة الصف المسلم وتزعزعه، وأضحت كيفية التعامل مع هذا

ما وراء التطبيع مع إسرائيل

خبايا المصطلح ومخاطير آلياته

التسلل الخفي المباغت من أكبر التحديات التي تواجهها الأمة المسلمة، فالمسألة تجاوزت في مستويات الولاء لليهود حتى بلغت ذروة الهرم الرئاسي، ومن غير الممكن تصور أن زيارة السادات لإسرائيل كانت وليدة خاطرة في ذهن الرئيس، بل إن الاتصالات الإسرائيلية كانت مستمرة بلا انقطاع مع أكثر الزعماء العرب، وما نشر من تسريبات وينشر من مذكرات وكتب ولقاءات وحوارات حول زيارات لشخصيات وزعامات عربية لتل أبيب يغني عن ذكر الأسماء، فالأمر أصبح واضحاً لكل ذي لب، وهناك صلات ودية وحميمة وظاهرة غير مستورة بين كثير من زعماء العرب وزعماء إسرائيل، لكن يبقى أن رجالات الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد المتسترين بعلاقاتهم مع دويلة اليهود أشد خطرا ممن جاهر بعلاقاته، فكان من المهم للأمة اكتشاف هذه العلاقات، ومعرفة مدى ما وصل إليه مستوى التعاون والولاء، فمعركة (التطبيع) لم تنته بعد، ولا زالت الشعوب الإسلامية تحمل في جعبتها أدوات الإباء والمقاومة.

لقد حثنا القرآن الكريم على شحذ عقولنا، وتقوية مداركنا الفكرية؛ لمعرفة الاصطفافات اليهودية أو النصرانية داخل صفنا الإسلامي، فثمة صفوف قابعة تحت مفهوم قرآني عنوانه: (منكم)، وثمة صفوف أخرى قابعة تحت مفهوم قرآني آخر عنوانه: (منهم)، وكثيرٌ ممن يقبع حقيقة ضمن المفهوم الأخير، وجد خلسةً مكانا له ضمن صفوف المفهوم الأول، وهذا ما جاء القرآن ببيان حكمه للمجتمع الإسلامي حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ المائدة: 51، فالمسلم اليقظ لا ينخدع بالذئاب إن اكتست بجلود الضأن، وما أنزلت سورة التوبة وشبيهاتها إلا لكي تشحذ العقول الإسلامية نفسها بآي القرآن الكريم، ليتحصَّل لها المعيار الكاشف لسمات هذه الاصطفافات وملامحها المخادعة، فحينما يقول الله -جل جلاله-: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ التوبة: 56، فإن ذلك أشبه ما يكون بصافرات إنذار تنبه المجتمع بأن العدو قد دخل في نطاق الحرم الإسلامي فالحذر الحذر، لذا لابد على الأمة الإسلامية وهي تخوض معركتها المعرفية؛ أن تتعرف على سمات المصنفين في قائمة (منكم)، عبر امتلاكها للمسبار التحليلي والمعيار القرآني الذي يُتَعرَّفُ به على ملامح المتلبسين بلباس المسلمين خداعا، ويحصل ذلك من خلال رصد أدوارهم ومراقبة نمط أفعالهم في داخل المجتمع المسلم، وقد أجاد الدكتور المسيري -رحمه الله- في توصيف حال هذا الصنف من البشر، فذكر أنهم: يعيشون في أعماق مجتمعاتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويقفون في الصف الأول في مساجدنا، فيصلون معنا صلاة العشاء ويسجدون، ويخطبون على منابرنا ويزكون، لكنهم مع ذلك يمثلون الدور اليهودي خير تمثيل..

إن الاتصالات الإسرائيلية كانت مستمرة بلا انقطاع مع أكثر الزعماء العرب..



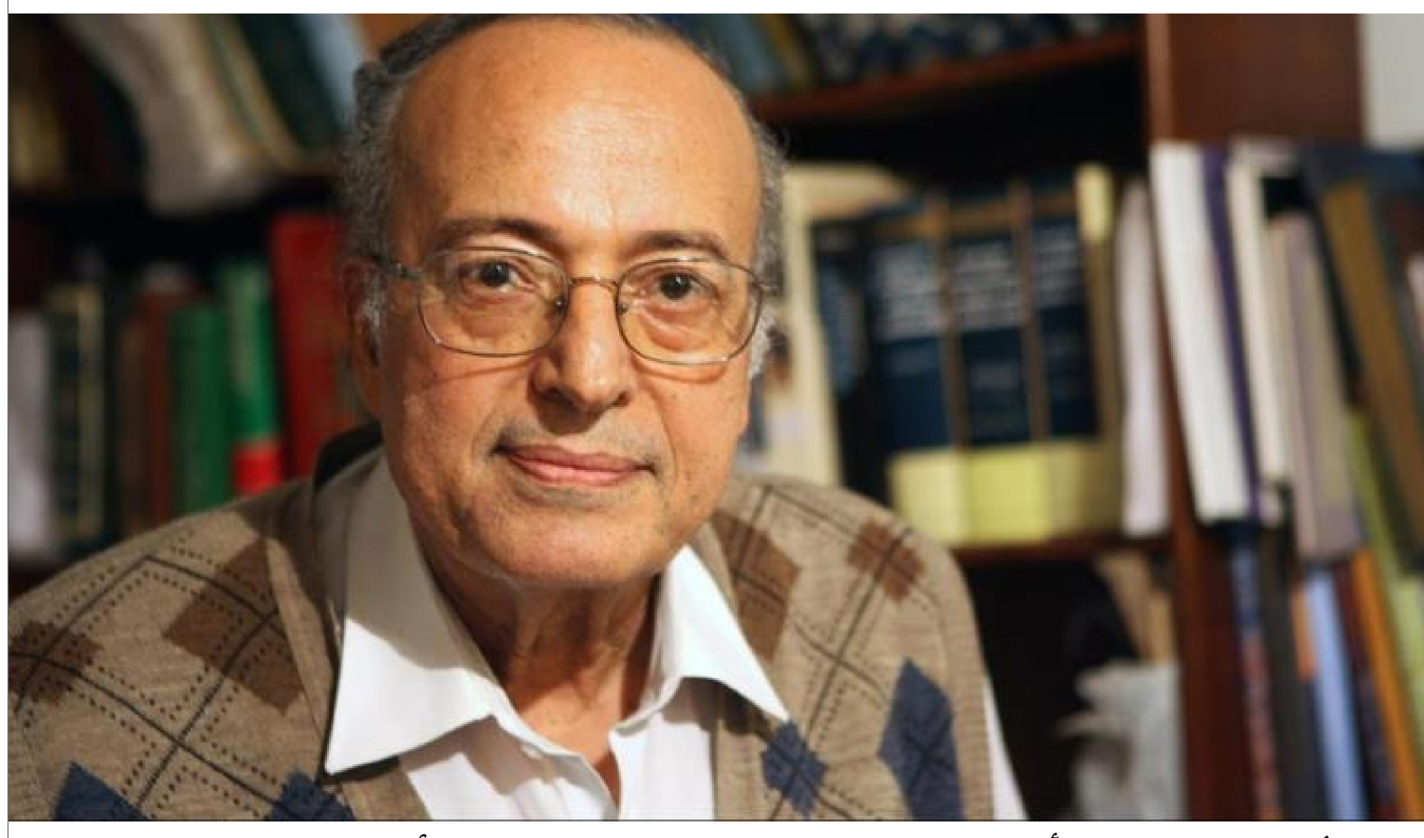
«إن هذه الخارطة ليست خارطة شعبنا، إن لنا خارطة أخرى عليكم - أنتم طلاب المدارس اليهودية وشبابها - أن تحولوها إلى واقع .. يجب أن يتسع شعب إسرائيل من النيل إلى الفرات»

بن غوريون في كلمة موجهة إلى الطلاب اليهود

لهذا كان كشف هذا الصنف المختفي بيننا مهما جدا في معركتنا مع مصطلح (التطبيع)، لأن الحاجز الأخير الذي نملكه هو بقاء جذوة العداء لليهود وإسرائيل حية في نفوسنا، فمهما طبع حكام أوطاننا الطغاة علاقاتهم السياسية والاقتصادية مع اليهود، فلا يزال بيد الشعوب الكلمة الأخيرة، وقد رأى العالم أجمع هذا الإباء في أكثر مواطن الغفلة في الأمة الإسلامية، حينما أتت الوفود اليهودية من إسرائيل إلى قطر لحضور كأس العالم 2022م، فما كان من أبناء الإسلام سوى أن لقنوا حكامهم وحكام إسرائيل درسا محرجا أمام الشاشات، ولم يتجرأ أهل النفاق رغم كثرتهم من إبداء ولائهم لليهود إلا في القليل النادر، وهذا بلا ريب دليل على خيرية هذه الأمة الواحدة وحياتها، فمتى فقد اليهود أعوانهم في العمق الإسلامي، فإنهم لن يحققوا أهدافهم الكاملة من خديعة (التطبيع)، لأن اليهود عبر التأريخ يستمدون مقومات حياتهم وأسباب قوتهم من الخارج الأجنبي لا من داخلهم، ولعل هذا مصداق من مصاديق قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ آل عمران: 112، فبدون حبل من الخارج لا يقوم لليهود في الأرض كيان، لذا يتحتم على الأمة الإسلامية محاربة جميع من يمدونهم



المجرم أمين عام ما يسمى برابطة العالم الإسلامي ووزير العدل السعودي السابق **يصلي في موقع النصب التذكاري لأكذوبة الهولوكوست**



« يعيشون في أعماق مجتمعاتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويقفون في الصف الأول في مساجدنا، فيصلون معنا صلاة العشاء ويسجدون، ويخطبون على منابرنا ويزكون، لكنهم مع ذلك يمثلون الدور اليهودي خير تمثيل..»

الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله

بأسباب القوة والحياة بدءًا من أمريكا وعملائها في العالم، وانتهاءً بجيوش وعملاء الأنظمة المتصهينة الحاكمة للعالم الإسلامي التي تدعي الإسلام زورا، وتردد مع شعوبها شعار: (خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود) بينما تقف جيوشها وعملاؤها في محاربة جيش محمد تحت مسمى الحرب على الإرهاب، فتقاتله أشد قتال، وتسلم أفراده للحليف الأمريكي؛ فأمثال هؤلاء لا يمكن أن يكونوا ظهيرا مؤتمنا للأمة الإسلامية.

ورحم الله الشيخ عبد الرحمن الدوسري وأسكنه فسيح جناته؛ فقد تنبأ منذ أكثر من أربعين سنة بكثيرٍ من مخاطر التطبيع التي وقع كثير منها على الساحة اليوم، فقال في كتابه (اليهودية والماسونية ص129 - 130) بعد كلامه على السلام مع اليهود: (وسينشأ عنها الأخطار التالية:

1- الاتفاق الدبلوماسي والثقافي والتجاري وفتح الحدود.

2- إذابة الروح الدينية لدى المسلمين، وإماتة الحمية والشهامة ضد العدو.

3- يربح العدو وعملاؤه إلغاء المقاطعة، بحيث تصبح هذه المقاطعة معاملة حرة تزداد بها مكاسبه وصادراته زيادة هائلة.

4- ستصبح بلاد العدو مصيفاً يرتاده كل فساق العرب ينعمون بجوار اليهوديات المتدربات على كسب الرجال وابتزاز الأموال، وسيكون نتيجة ذلك أن تسيل الأموال العربية باتجاه إسرائيل، وأن يسيل الفساد اليهودي باتجاه العرب.

5- حصول الألفة التامة بين العرب واليهود من كل الطبقات بدلاً من الوحشة والنفرة، وسيغزونهم

عملاء الأنظمة المتصهينة الحاكمة للعالم الإسلامي التي تدعي الإسلام زورا، وتردد مع شعوبها شعار: (خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود) بينما تقف جيوشها وعملاؤها في محاربة جيش محمد تحت مسمى الحرب على الإرهاب، فتقاتله أشد قتال، وتسلم أفراده للحليف الأمريكي

بالحشيش والمخدرات والمسكرات - زيادة على ما هم عليه - وقد يجعل التزاوج والاستخدام، وستحل الميوعة في جميع الطبقات، وتموت الروح العسكرية في مواضع، وتضعف في مواضع أخرى.

6- سيبتلى بعض العرب بحكامهم، فيرهقون بالظلم والسجون والضرائب، حتى يتمنوا الخلاص من حكامهم ولو بإسرائيل.

7- إذا قامت دولة فلسطينية على أي جزءٍ من أرض فلسطين فستكون شيوعية علمانية، تلتقي مع إسرائيل في بعض المواقف، وسيكون بينها وبين الأردن عداوات سياسية تشطر العرب إلى شطرين، فتقوم الخلافات والمهاترات، وإسرائيل تشر وتنمي ذلك».

ثم قال رحمه الله بعد ذلك: « وأدعو الله أن يخيب ظني فلا يحصل شيء من هذا كله، وإنما يحصل الخير والفلاح والسداد لكل العرب والمسلمين» اهـ.

بصائر إيمانية وسياسية

من زلزال تركيا وسوريا

بقلم: أبي صلاح المكي

رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم- رسولًا.. من المعلوم أصالة بالحس الإيماني الشرعي أن الله تعالى إذا زلزل الأرض من تحتنا، فمراد ربنا أن يزلزل قلوبنا لتؤوب إليه، وأن يحرك أفئدتنا لتفيء إليه، فبالتوبة والأوبة يحافظ الإنسان على طمأنينة الأرض واستقرارها.. دعونا من تبرئة النفوس وتزكيتها، فكلنا ذلك الإنسان الذي يقتات بقوت ربه تحت ركام من الذنوب، وأنقاض من البعد عن الله جل جلاله، ونحن في غمرة ساهون، وفي غينا سامدون، ألا ترى الأعين المبصرة أن غالب عالمنا الإسلامي يعج بمظاهر الشرك الصريح، والفواحش والمنكرات، لذلكم يستعتبنا الله بمظاهر بأسه ومعالم سلطانه في الأرض، تارة بالأوبئة الفتاكة، والفيضانات المغرقة، والزلازل المدمرة، وغيرها من كوارث الطبيعة، والمؤمل عقلا أن تمضي الأمة كلها في جهود إيمانية لاسترضاء الله جل جلاله واستمطار رحمته كي يمن علينا بالحفاظ على السلام الأرضي واستقرارها، فإن الله تعالى هو الحافظ، وأما الجدران والسقف التي اصطنعناها لتحفظنا وتقينا وتسترنا، فقد أثبت الدهر أنها لا تغني عن استرضاء الله شيئا..

إن هذه الزلازل تفجؤنا بغتة لتخرجنا من ركام الذنوب الخبيث وأنقاض المعاصي الخانقة لأرض التضرع والتبتل، قال ربنا جل جلاله:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ ﴾.. هذه الزلازل إن لم نقرأها على أنها رسائل إنذارية من السماء فنحن فاشلون كل الفشل في الامتحانات الربانية والإختبارات الإلهية، بيد أن غالب أهلنا المنكوبين في تركية وسورية أبدوا نجاحا منقطع النظير في هذا الامتحان العسير، فأثبتوا للعالم بأسره أنهم أبناء أمة كريمة تعيش في جنة الرضا بما قدر الله وقضى، لهذا شاهدنا أغلب نسائهم ورجالهم، وأولادهم وأطفالهم يصدعون بقول الصديقين: (الحمد لله على ما قضى وقدر، الحمد لله على كل حال)، ورأينا من يخرج من الركام رافعا لسبابة التوحيد ذاكرا لله، أو تاليا لكتاب الله، مصليا على رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ولم يك غريبا أن نرى أخواتنا الفضليات وهن تحت ركام الأنقاض يأبين الخروج للحياة إلا بجلباب الحياء وحجاب العفة، رغم مرور عشرة أيام من الأنين والحنين، وشدة البرد ومعافرة الموت تحت الركام، ولو أنهن طلبن رشفة ماء أو شراب، وخرجن بلا حجاب أو نقاب أو ثياب، لما جرى عليهن أصلا قلم العتاب ولا كتاب الحساب، فهن ألصق بحال الضرورة والترخص، لكنهن أبين لأنهن بنات أمة رضعت لبان الشهامة والحياء والعفة منذ نعومة أظفارهن.. فكل ذلكم لا يمكن إلا أن يكون انعكاسا لإيمان عظيم وقر في القلوب، وعقيدة أصيلة اختلطت بلحم وعظم، وأما الفداء فحدث به بلا تقصير، فقد جرت ينابيعُ من دموع رجال الإنقاذ عقب شهودهم لأم أو أب فدى أولاده بنفسه، وأخ أو أخت فدت إخوانها الصغار بنفسها، فآثروا بفدائية في ثواني حاسمة أن يتخذوا قرار تلقي صفع الجدران ووكز الأسقف بظهورهم على أن يكمل مسيرة الحياة من ظفر بحماية أحضانهم ممن فدوه بأنفسهم، فالله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، ولا إله إلا هو سبحانه عما يصفون. ثم أرجع بصرك كرتين في نجاح كثير من أبناء هذه الأمة المهدية الواحدة في امتحان الوقوف مع أبناء أمتهم المنكوبين، فمسلم باكستاني واحد،

وجوه شاحبة كاذبة خادعة، وطغاة لا يعرفون إلا تنظيم الاحتفالات الموسيقية الهابطة، والاجتماعات الرياضية الإباحية، ولا يتقنون إلا فن معانقة إسرائيل ونظام البراميل

ولا ننسى أبطال رجال الخوذ البيضاء وسائر رجال الإنقاذ وعمال المناجم الذين هبوا وساهموا في إنقاذ الأطفال والناس العالقين تحت الأنقاض،



يأتي متلفعًا متخبئًا بكمامته إخلاصا لله، فيفعل بمفرده ما لا تفعله دولا عظمى بأسرها، فيتبرع بثلاثين مليون دولار دفعة واحدة دون أن يذكر اسمه أو يبقي رسمه، لأنه يعلم قيمة شراء الذكر والشهرة في السماء بجهالة أهل الأرض به، وآخرون انتفضوا لنجدة أمتهم المنكوبة تحت الأنقاض فهبوا بكل ما يملكون من غذاء وكساء لكفاية إخوانهم، ويكفيك أن تستشعر هيبة رتل شاحنات (الفزعة) الذي أرسلته عشائرنا الأبية الكريمة في دير الزور والعراق لإغاثة إخوانهم المتضررين في شمال سورية، فلله درهم وعلى الله أجرهم. ولا ننسى أبطال رجال الخوذ البيضاء وسائر رجال الإنقاذ وعمال المناجم الذين هبوا وساهموا في إنقاذ الأطفال والناس العالقين تحت الأنقاض، فمهما أطلنا بذكر فضائلهم وبطولاتهم فلن نؤدي إليهم عشر معشار حقهم وجليل فضلهم في إحياء النفوس البشرية، وتالله لقد أشعرونا وأشعروا العالم بأسره بهيبة تكبيرهم وذكرهم لله فرحا وسرورا كلما نجحوا في عملية إنقاذ نفس، وإجراء عملية ولادة قيصرية حجرية من تحت ركام الأحجار والأنقاض، فنسأل الله تعالى أن يندي كفوفهم، ويسلم أناملهم، ويفرج همومهم وينفس كروبهم كما فرجوا عن إخوانهم العالقين والمنكوبين، وأن يجزيهم بخير الجزاء والثواب. هذا جانب إيماني إنساني شاهده وأدركه جل الناس، غير أن هذا الزلزال زلزل مع الأرض المشاعرَ والقلوبَ، وأسقط مع البيوت والأبراج وجوها سياسية ترهقها القترة، وجوه شاحبة كاذبة خادعة، وطغاة لا يعرفون إلا تنظيم الإحتفالات الموسيقية الهابطة، والإجتماعات الرياضية الإباحية، ولا يتقنون إلا فن معانقة إسرائيل ونظام البراميل، والتطبيع مع القتلة من الإسرائيليين والباطنيين، لقد كشف لنا هذا الزلزال حقيقة الأنظمة العربية والعالمية وطغاتها الذين وجدوا فرصتهم السياسية في التطبيع مع الطاغية بشار وزيارته وإعادة تأهيل حكومته حكومة الحشاشين وتلميع صورتهم، فساقوا إلى جنوده وميليشياته الدعم لاستمرار قتلهم للشعب السوري باسم المساعدات الإنسانية للمنكوبين، ودفعوا للميليشيات الأسدية ما جمعوه

من تبرعات الناس الطيبين من شعوب أمتنا للمتضررين، فجاء الزلزال ليسقط معه هذه الوجوه الكالحة البائسة، بدءا من الحكومة التركية التي تجاهر بتطبيعها مع إسرائيل، ورغبتها في إعادة علاقاتها مع حكومة بشار، واستمرارها في إعانة الصليبين على احتلال بلاد المسلمين كأفغانستان والصومال وغيرهما، وتدريب العملاء المرتدين على قتال المجاهدين، فضلا عن مشاركتها في قتل المسلمين في الصومال وغيرها بطائراتها المسيرة.

فنسأل الله تعالى أن يندي كفوفهم، ويسلم أناملهم، ويفرج همومهم وينفس كروبهم كما فرجوا عن إخوانهم العالقين والمنكوبين، وأن يجزيهم بخير الجزاء والثواب.

فجاء الزلزال ليسقط معه هذه الوجوه الكالحة البائسة، بدءا من الحكومة التركية التي تجاهر بتطبيعها مع إسرائيل، ورغبتها في إعادة علاقاتها مع حكومة بشار

ولو أن طغاة تركيا انشغلوا في العقدين الماضيين بتعزيز البنية التحتية لمساكن الشعب التركي المسلم لا سيما بعد وصولهم للحكم على ظهر زلزال عام 1999، وتسليح مساكنهم بالهندسة المعمارية المقاومة للزلازل كما فعلت اليابان وغيرها، وكفوا أنفسهم في العشرين سنة الماضية عن التعاون مع حلف الناتو الصليبي في قتل المسلمين بأفغانستان والصومال، لما رأينا هذا العدد الهائل من ضحايا الزلزال عام 2023، لكنهم طغاة عملاء خونة لا يهتمون بشعوبنا المسلمة، فيغضون الطرف عن إصدار التراخيص للمقاولين في بناء أبنية بمواد مغشوشة، ولا يفتشون ولا يراقبون أعمال البناء والمقاولة، فإذا انهدمت البيوت المبنية على أساسات كأعواد الكبريت، ورمال يسمونها كذبا بالإسمنت، سارعوا بالقبض على المقاولين للضحك على شعوبنا المسلمة، وهم هم من أعطوهم تراخيص البناء والمقاولة، وغضوا طرفهم عن الغش الصريح، دون رقابة وفحص ومتابعة، فرحمة الله على إخواننا وأهلنا من الشعب التركي والسوري، ونسأل الله تعالى أن يبدلهم حكاما رحماء أبرار خيرا من هؤلاء الطغاة العتاة القتلة الصهيوصليبيين. وقريبا -بإذن الله- ستنتهي ألاعيب بشار وأردوغان في الاستهتار بحياة الإنسان، وسيعود الإسلام إلى تركية وسورية عزيزا منيعا حاكما لأرضها وشعبها المسلم الكريم، وسيتخلص الشعب التركي والسوري من طغاته الخائنين، وسيُنهي أبناء العثمانيين الأبطال بأيديهم تلك الحقبة السياسية البائسة التي عاشتها تركيا ولا زالت تعيشها بخلسة منذ مائة عام، لتعود (تركيا الكبيرة) التي عرفها التأريخ الإسلامي، وستنتهي قريبا -بإذن الله- هذه الحقبة البائسة.

الرسالة الثانية:

السبيل القويم



من رسائل الوحي

بقلم: الشيخ الفاضل د. سامي العريدي حفظه الله

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]

بينت في المقال السابق أن الاعتصام بالوحي من أهم الأصول التي ينبغي أن تربي عليه الجماعات المسلمة والمجاهدة نفسها وأفرادها حتى يتحصنوا من مكر الأعداء وشبهات أهل الأهواء الذين يسعون ليل نهار لحرفهم ولو قليلا عن هذا الأصل العظيم.. وفي هذا المقال نبين السبيل القويم لهذا الأصل العظيم

فأقول وبالله التوفيق:

إن الله سبحانه وتعالى جعل سبيلا واحدا موصلا لهذا الأصل العظيم وهو الاقتداء بهدي النبي محمد صلى عليه وسلم والتزام سيرته قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: 54]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمَن رغب عن سنَّتي فليس منِّي» متفق عليه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» رواه ابن ماجة وصححه الألباني

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». رواه ابن أبي عاصم في «السنة» وقال الإمام النووي -رحمه الله-: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح

وقد أجمع علماء الأمة على وجوب اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخ الإسلام -رحمه الله-:

(وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته؛ دقيق ولا جليل؛ فإنهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه. وجميع الأعذار ثلاثة أصناف: أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله. والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول. والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ) مجموع الفتاوى (20/ 232)

فاتباع ما جاء به الرسول الله صلى الله عليه وسلم هو أصل الدين ولبه فمن لم يتمسك به فقد خالف الله في أمره وحكم على نفسه بالضلال والشقاء قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: 158]

واتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دليل صدق محبة الله والإيمان به فبمقدار الاتباع تكون المحبة فكلما زاد الاتباع زادت المحبة والعكس كذلك قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرفة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة، وقيل: لا تقبل العدالة إلا بتزكية {يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم} فتأخر أكثر المدعين للمحبة، وقام المجاهدون فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم

السبيل القويم
من رسائل الوحي

فسلموا ما وقع عليه العقد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين، فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد عرفوا أن للسلعة قدرا وشأنا ليس لغيرها من السلع، فرأوا من الخسران البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعتها وحسرتها، فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء، فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضى واختيارا من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾ لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلبا للربح عليكم، بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الأثمان، ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن.) زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 65)

واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته هو سبيل الذين أنعم الله عليهم الذين فرض علينا سؤاله سلوك سبيلهم في كل صلاة قال الله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾ [النساء: 69]

فاتباع الرسول الكريم صلوات وسلامه عليه هو السبيل الوحيد للاعتصام السديد ولا سبيل سواه وهذا ما تضمنته كلمة النجاة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فلا يعبد إلا الله وحده ولا يعبد إلا بما شرع وأرسل به عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه قال ابن القيم: -رحمه الله- في وصف من اصطفاه الله لعبوديته: (قد اتخذ الله وحده معبوده ومرجوه ومخوفه وغاية قصده ومنتهى طلبه، واتخذ رسوله وحده دليله وإمامه وقائده وسائقه، فوحد الله بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه وإفراد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه فله في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاءِ والإقبال عليه وصدق اللجا والافتقار في كل نفس إليه، وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محابّ الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه) طريق الهجرتين ص20

وقد توعد الله كل من سلك غير هذا السبيل بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- (وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، سبيله وهو منهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا {أن تصيبهم فتنة} أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، {أو يصيبهم عذاب أليم} أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك.) تفسير ابن كثير (6/ 89) وقال ابن وهب كنا عند مالك فذكرت السنة فقال مالك:(السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.) تاريخ بغداد (8/ 309)

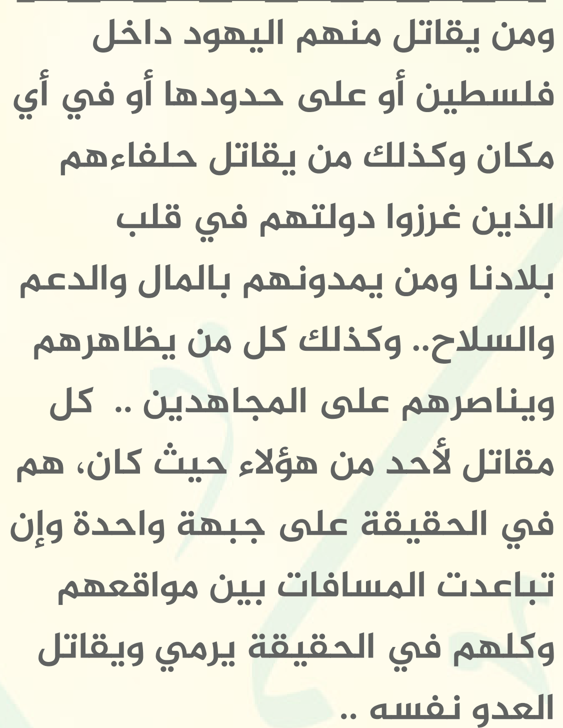
فمن رام الهداية والاعتصام بالله ومجاهدة أهل الباطل بغير هذا السبيل فقد ضل الضلال المبين.

قلنا وقالوا



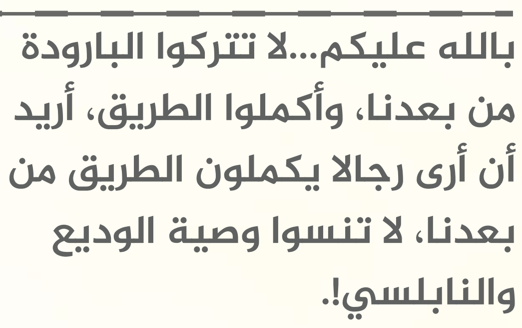
الشيخ العالم
أبو محمد المقدسي- حفظه الله

ومن يقاتل منهم اليهود داخل فلسطين أو على حدودها أو في أي مكان وكذلك من يقاتل حلفاءهم الذين غرزوا دولتهم في قلب بلادنا ومن يمدونهم بالمال والدعم والسلاح.. وكذلك كل من يظاهرهم ويناصرهم على المجاهدين .. كل مقاتل لأحد من هؤلاء حيث كان، هم في الحقيقة على جبهة واحدة وإن تباعدت المسافات بين مواقعهم وكلهم في الحقيقة يرمي ويقاتل العدو نفسه ..



الشيخ العالم
أبو قتادة الفلسطيني- حفظه الله

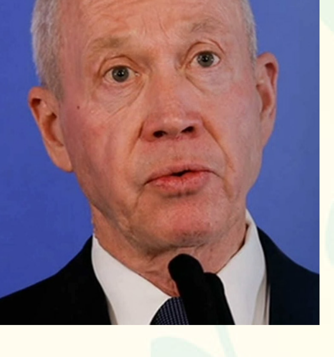
أعبر عن تقديري واحترامي لتلك العمليات الرائعة التي يقوم بها شباب الإسلام على أرض فلسطين المباركة وهي في الحقيقة الجواب الحقيقي لكل المخططات التي يُراد بها دمار هذه الأمة وتغييب قوتها وتفتيت عوامل القوة فيها..وهي في الحقيقة معلم من معالم هذا الدين الذي عماده الفداء وعماده التضحيةكما هي ملة إبراهيم..





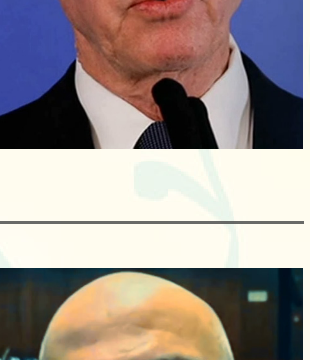
الشهيد -كما نحسبه
حسام سليم - رحمه الله

بالله عليكم...لا تتركوا البارودة من بعدنا، وأكملوا الطريق، أريد أن أرى رجالا يكملون الطريق من بعدنا، لا تنسوا وصية الوديع والنابلسي.!



عمدة تل الربيع (تل أبيب)
الصهيوني رون حولداي

الدول التي تشبه إسرائيل يمكن أن تتحول من الديمقراطية إلى الديكتاتورية، وهذا الحال في إسرائيل الآن، الدكتاتوريون لا يصبحون ديمقراطيين إلا بعد حمامات من الدماء، هكذا هو التاريخ البشري..



وزير دفاع الكيان الصهيوني
الصهيوني يواف غالانت

الانقسام المتزايد يتغلغل إلى الجيش وقوات الأمن، والشقاق الداخلي يعد خطرا داهما على الأمن الداخلي، ونواجه تحديات أمنية غير مسبوقة..



عضو الكينيست وضابط احتياط
الصهيوني سليجا فوجل

يجب القاء القبض على لابيد رئيس المعارضة، وبين جيتس -وزير الدفاع السابق- بتهمة الخيانة والتحريض على التمرد



رئيس معارضة الكيان الصهيوني
الصهيوني لابيد

إن تحريض حكومة نتنياهو سينتهي بإراقة الدماء

المهلب بن أبي صفرة واستراتيجياته في إبادة الخوارج

بقلم: محسن الرومي

الجزء الأول

في ربيع عام 1429هـ كنت برفقة زميلي الشهيد أبي عبيد الله العبسي -تقبله الله- نتدارس علوم العربية وبعض أمهات كتب الأدب دراسة متقطعة مع فضيلة الشيخ الفقيه أبي المنذر نعمان الليبي المالكي -تقبله الله- المشهور في الأوساط الجهادية الخراسانية بالشيخ سالم الطرابلسي، وكان من ضمنها كتاب (الكامل في اللغة والأدب) لإمام العربية والأخبار ببغداد، أبي العباس المبرد -رحمه الله- (ت: 285هـ)، وأذكر أن الشيخ أبا المنذر كان لا يفتر من التحريض المستمر على دراسة هذا الكتاب دراسة فحص وتحرير وتمحيص، وكان دائما ما يردد مقولة أهل العلم المغاربة في إعلاء شأن هذا الكتاب وأهمية دراسته: (من لم يقرأ الكامل فليس بكامل)، وفي ظلال هذه الأجواء الأدبية كان شيخنا الفقيه يقول: (إن كتاب الكامل يعد أهم كتب الأدب التي يجب على المجاهد والمحارب أن يهضمها قراءة ودرسا، ففيه من الأخبار المتضمنة للاستراتيجيات العسكرية والفكرية والحربية ما لا ينبغي للمحارب أن يغفل عنه بحال، وأهم ما يكتسبه القارئ من الكامل أن يفقه نمط العقل الخارجي، وكيفية التعامل السديد معه، وسبل خضد شوكتهم، وتشريد من خلفهم، لا سيما تلك المكايد التي اضطلع بتنفيذها الأمير الشهم المهلب بن أبي صفرة -رحمه الله-...الخ).

استشهد شيخنا فيمن استشهد في



الكفاح المقدس على ثغور خراسان في الحرب الصليبية المعاصرة قبل أن يبزغ قرن أحفاد الأزارقة عام 2014م، وبقيت آثار الشيخ وعلومه واختياراته مبثوثة بثغور خراسان ليستفيد منها من قدر الله له مواجهة الخوارج لكسر شوكتهم في البلاد وإراحة العباد، فكانت معارك جلال آباد وزابل وهلمند وكنر مع عبيد الطاغوت الخارجي في غاية الحسم، فتم بحمد الله دحرهم وتطهير المديريات الأفغانية منهم، ولم يبق منهم سوى أمشاج من الخلايا التي دخلت تحت وصاية القوات الأمريكية الصليبية بكابل، وتحالفت منذ ذلك الوقت مع بقايا الجيش الأفغاني المرتد أتباع الهارب أشرف غني، فتم إعادة تأهيلها وترتيب صفوفها قبل الإنسحاب الأمريكي، ولا زالت هذه الخلايا -رغم الدعم الصليبي المعلوماتي الذي تتلقاه- تذوق على يد أسود الإمارة الإسلامية ما ذاقه أجدادها على يد الفارس العربي المسلم المهلب بن أبي صفرة -رحمه الله- الذي خضد شوكتهم، وبدد جموعهم، وجعلهم شذر مذر، ووفاء وعرفانا لجميل هذا الفارس المجاهد، وحضا على الاستنان بسنته واستلهام طريقته في محاربة الدواعش المارقة، أقدم لقراء مجلتنا الكريمة هذه الدراسة التأريخية الاستراتيجية، سائلا الله تعالى أن تصيب مقصودها من كتابتها، وبالله السداد والتوفيق.

▫ نبذة عن المهلب بن أبي صفرة:

كان أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة من أزد عمان الذين قدموا إلى المدينة المنورة في أيام عُمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فتفرس الصحابة في ذلك الشاب القادم للمدينة مع أبيه؛ العبقرية العسكرية التي كانت بأبي سليمان خالد بن الوليد -رضي الله عنه- ، حيث بدت فيه معالم الفتوة، والفروسية، والنشاط الجم، وعدم الاكتراث بالأخطار، فبعثه عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فيمن ابتعثهم لفتوح خراسان، فحارب تحت قيادة عبد الرحمن بن سَمُرة -رضي الله عنه- أيام شبابه مع كثير من غيره من الفرسان، وكان من زملائه في فتوح أطراف خراسان؛ الفارس العربي الخارجي قطري بن الفجاءة، الذي شاء الله أن يصبح بعد ذلك خصما لدودا للمهلب، وقد تزاملا تحت قيادة سيدنا عبد الرحمن بن سمرة في إخضاع سجستان (35هـ - 42 هـ)، وذلك ما قرره البلاذري في فتوحه، وابن عبد البر في استيعابه، وابن حجر في إصابته، ثم شارك في فتوح الهند والسند، وله فيها معارك عنيفة أباد فيها جمعا من الأعداء كما يقول النويري في (نهاية الأرب)، وفي الزمن السفياني من تأريخ الدولة الأموية، حقق المهلب شهرة واسعة في الساحات الجهادية الأفغانية آنذاك لا سيما في فتوح جبال الهندكوش، فقد ذاع صيته في فتوح بخارى وهرات وجوزجان وبقية أفغانستان كما يقول اليعقوبي في تأريخه، وفي معركة





في ربيع عام ١٤٢٩هـ كنت برفقة زميلي الشهيد أبي عبيد الله العبسي -تقبله الله- نتدارس علوم العربية وبعض أمهات كتب الأدب دراسة متقطعة مع فضيلة الشيخ الفقيه أبي المنذر نعمان الليبي المالكي -تقبله الله-

كابل أبلى المهلب بلاءً حسنًا كما قال قدامة بن جعفر في كتابه (الخراج)، حيث تمكن من إصابة ملك كابل، فكان ذلك سبب استسلامه للصلح، ثم إعلان إسلامه حسبما ذكره ابن أعثم في فتوحه، وبهذه المزية صار المهلب أشهر قائد جهادي خراساني، وأعظم فارس مجاهد مقدام، يقود جماعة من الأزد المحاربين الانغماسيين، مما رفع من شأنه وجعله محط أنظار وحرص ولاة خراسان على اصطحابه هو ومجموعته الأزدية في معارك الجهاد، ولا شك أن وعورة جبال أفغانستان، وضراوة أهلها في القتال، كانت قد صنعت من المهلب قائدا جهاديا صلب العود، لا يقارن البتة بجميع قادة الإمبراطوريات التي غزت أفغانستان، فجميعها فر هاربا منهزما إلا المهلب ابن أبي صفرة ومن كان معه، فهم الوحيدون بسبب إسلامهم وما معهم من نور الدعوة إلى الله لم تشملهم نظرية (أفغانستان مقبرة الإمبراطوريات).

تميز المهلب بالنظر السياسي والعسكري الثاقب في العواقب والمآلات، فكان يتجنب الفتن والاضطرابات التي تنشب حينا بين المسلمين والمجاهدين لا سيما في الفترة التي أعقبت وفاة يزيد بن معاوية، وكان قد أوقف نفسه لمشروع نشر الدعوة الإسلامية وتوسيع نور الله في الأرض، وجهاد الطواغيت في سبيل الله، فلم يك همه أن يكون منتميا لدولة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- أو لدولة الأمويين بقدر ما كان يهمه نشر الإسلام والشريعة في الأرض، كما لم يكن يتشوف إلى المناصب والزعامات، وقد تجلى ذلك فيه حينما كلفه سيدنا ابن الزبير أن يكون واليا على ولاية خراسان، فلما مضى في طريقه إليها ومر بالبصرة ووجد الأزارقة الخوارج يهددونها وقد أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، ضحى المهلب بولاية خراسان وتصدى لحرب الخوارج نحوا من عشرين عاما، فأقره ابن الزبير ثم ابن مروان على ذلك، حتى تحقق النصر على الخوارج بعد جهد وعناء كبير، بيد أن السهام والطعون التي أصابته من إخوانه كانت أشد تأثيرا عليه، فقد ضايقه الكثير من الحسدة الذين ساءهم أن يحقق المهلب شرف النصر تلو النصر، وأضنى قلوبهم أن يسيطر الأزد على مجريات الحروب مع الخوارج، وكان من أكثرهم مضايقة له والي العراق الحجاج الثقفي الذي

كان يتهمه بإطالة الحرب مع الخوارج طمعا في الخراج الذي يجنيه من أراضيهم، ورغم استفزازات بني مضر ومضايقات الحجاج الثقفي، تمكن المهلب بحنكته السياسية أن يحسن مداراتهم، ويخفف من ضغوطهم واستبداداتهم، حتى تحقق له النصر على دواعش عصره.

واستمر المهلب في جهاده ونشره للإسلام في فتوح بخارى وشمال أفغانستان حتى فقئت احدى عينيه في فتح سمرقند، وكان مع ذلك محافظا على سمته وهدوئه ورزانته وحصافته الجهادية، والأهم أنه بقي محافظا على توازنه وعهوده ومواثيقه في علاقاته مع الجميع، حتى حينما استعرت قضية فك الإرتباط بتنظيم بني أمية، أيام ثورة ابن الأشعث عليها (81هـ)، أظهر المهلب للجميع أن الغدر ونكث العهود ليس من طبعه ولا شيمته، ودام المهلب مستمسكا بفضيلة الوفاء بالعهد حتى تُوفي غازيًا بإحدى مدن خراسان في (ذي الحجة سنة 83هـ).

لقد شهد المؤرخون للمهلب وجميع أولاده وأحفاده وسائر آل بيته، أنهم كانوا من الأنجاد الشجعان، فكان له من الولد الكثير، وكلهم من ذوي المروءة والنجدة والشجاعة والكرم، ورغم حروبه وكثرة معاركه وجهاده؛ فقد مات المهلب حتف أنفه، إلا أن المهلب تميز عن سائر المهالبة بأنه قد جمع إلى النجدة والشجاعة؛ الرأي والحكمة والبلاغة وقوة الإرادة والعزم والحزم والعقل الاستراتيجي العسكري، وله في الحرب مكايد مشهورة، واستراتيجيات مأثورة، وله أيضا صولات وجولات وفتوحات، أما جهاده الأكبر فهو بلاءه الحسن في الوقوف في وجه دواعش عصره، سواءً تحت راية ابن الزبير أو راية بني أمية، فجعل من نفسه ترسا للمسلمين منهم، وبرع في حرب الخوارج أيما براعة، فجدّ الله به دابرهم، وحفظ الله به الإسلام وأهله من شرهم، وقد كان من مذهب المهلب ألا يذر للخوارج منفسا ولا متسعا من الأرض يعيثون فيه فسادًا، فضيق عليهم الأرض بما رحبت حتى فروا كافرين بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ وأنشد أحد الأزارقة وهو يفر عن المهلب رجزا يقول فيه:

(حتى متى يتبعنا المهلبُ .. كأنه في إثر صحبي كوكبُ .. ليس لنا في الأرض منه مهربُ .. ولا السماء، أين أين المذهبُ؟)، قال الدينوري في كتابه (الأخبار الطوال): (فلما سمع قطري ذلك بكى، ووطن نفسه على الموت، وباشر الحرب بنفسه)، لكن قطري نكل عن الحرب، وفر من المهلب كما فر الطاغوت البغدادي من الحشد الشعبي، فقال أحد أصحابه له

أبا قطري الخير إن كنت هاربا
ستلبسنا عارًا وأنت مهاجرُ
فحتى متى هذا الفرار مخافة
وأنتَ وليٌ، والمهلبُ كافرُ

ولم يبق منهم سوى أمشاج من الخلايا التي دخلت تحت وصاية القوات الأمريكية الصليبية بكابل، وتحالفت منذ ذلك الوقت مع بقايا الجيش الأفغاني المرتد أتباع الهارب أشرف غني،

أمير خوارج جوزجان "حبيب الرحمن رهبر" وأتباعه في ضيافة الجيش الأفغاني والقوات الأمريكية الصليبية بعد فرارهم أمام مجاهدي الإمارة الإسلامية



وقد نال المهلب بتضحياته وصموده وتفانيه رضا الجميع، واعترف القاصي والداني بفضله في ردّ كيد طواغيت الخوارج، وأشادوا بخبرته وحنكته العسكرية في دحرهم، والصبر على حربهم، حتى قال عنه الإمام الطبري: (فلم يقاتلهم إنسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه) ، فرحمة الله عليه رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

قال الحافظ ابن حجر في (التقريب) عنه: (كان -المهلب- من ثقات الأمراء، وكان عارفًا بالحرب، فكان أعداؤه يرمونه بالكذب، قال أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أميرًا أفضل منه).

وقال الحافظ الذهبي عنه في (سير أعلام النبلاء): (الأمير البطل، قائد الكتائب، أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة، غزا الهند، وولي الجزيرة لابن الزبير، وحارب الخوارج، ثم ولي خراسان).

وحينما توفي المهلب بكى الناس لفراقه، وحزنت عليه الأمة الإسلامية أشد الحزن، ورثاه كثير من الأدباء والشعراء، فكان مما قيل فيه:

أبا سعيدٍ جزاك الله صالحةً
فقد كفيتَ ولم تُعْنِفْ على أَحَدِ
داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا
وكنتَ كالوالدِ الحاني على الولَدِ

□ من بلاغة المهلب:

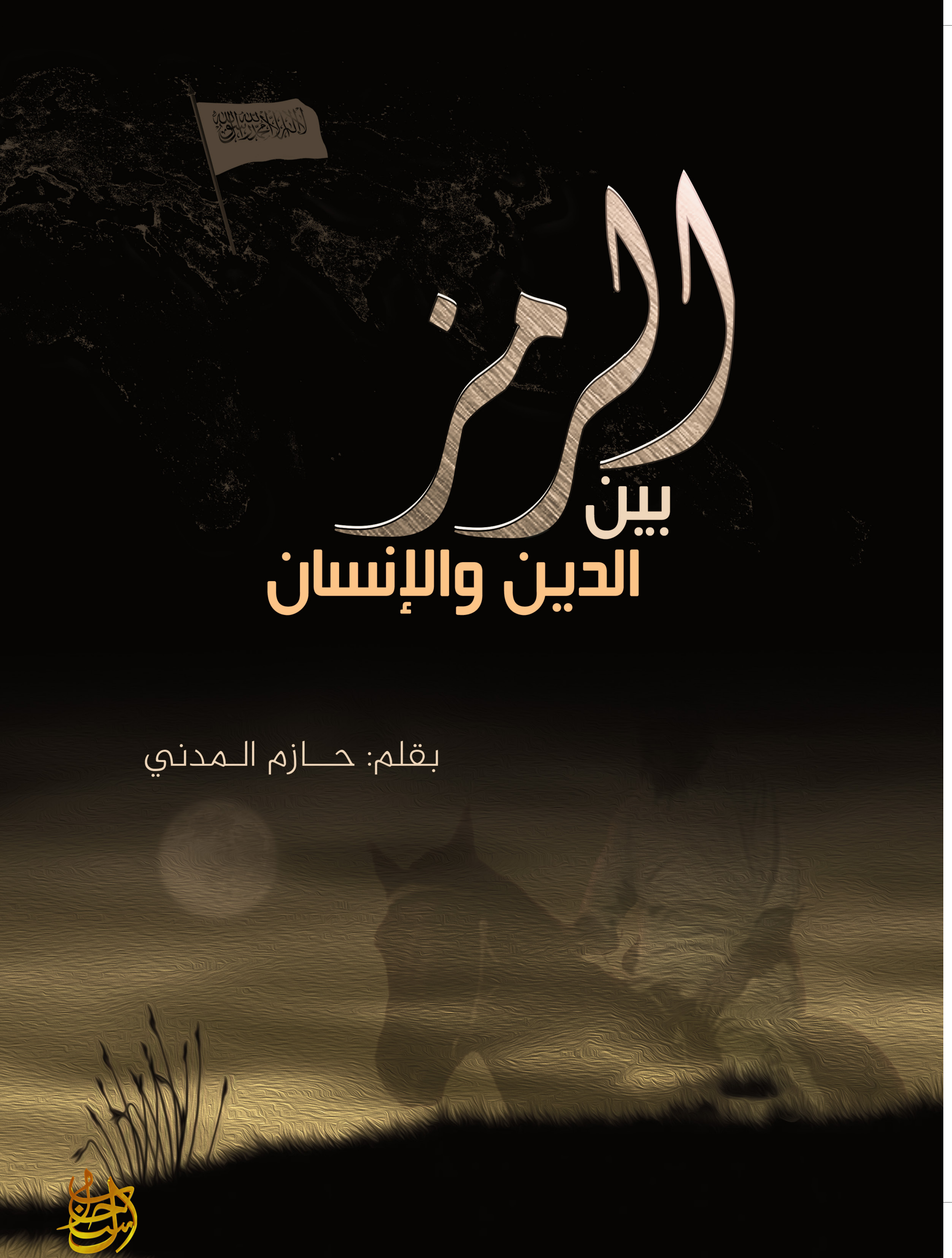
كان المهلب رجلا بليغا حكيما قد جرب الأمور، وحلب الدهور، فجرت على لسانه ينابيع الحكمة في مقولات عديدة تنم عن عقل وافر، ورأي سديد، فيروى أنه قال يوما: (إني لأعجب ممن يشتري المماليك بماله، ولا يشتري الأحرار بمعروفه)، وذكروا أنه قال: (إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره)، ومن أقواله: (من ضاق قلبه اتسع لسانه، وما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما ضاقت عن السر) ثم أنشد قول قيس الخزاعي:

ولا تُسْمِعِي سِرِّي وَسِرَّكِ ثَالِثًا
أَلا كُلُّ سِرٍّ جاوزَ اثْنَيْنَ ضَائِعُ

وكان المهلب كثيرا ما ينشد في ذلك قول الشاعر:

أكافي خليلي ما استقامَ بِوِدِّه
وأمنحهُ وِدِّي إذا يَتَعَتَّبُ
ولست ببادي صاحبي بقطيعةٍ
ولا أنا مُفْشٍ سِرَّهُ حين أغضبُ
عليك بإخوان الثقات فإنهم
قليلٌ، فَصِلْهُمْ دونَ مَنْ كنتَ تَصْحَبُ
وما الخِدْنُ إلا مَنْ صَفَا لَكَ وِدُّهُ
ومن هو ذُو نُصْحٍ وأنتَ مُغَيَّبُ
إذا ما وضعتَ السِّرَّ عندَ مُضَيِّعٍ
فذو السِّرِّ مِمَّنْ ضَيَّعَ السِّرَّ أذنبُ

ومن وصايا المهلب لبنيه: (إذا وليتم فلينوا للمحسن، واشتدوا على المريب، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن)، ومن أجود وصاياه ما رواه الطبري في تأريخه، أنه حينما حضرته الوفاة، أوصى من حضره من ولده، فدعا بسهام فحزمت، وقال: (أترونكم كاسريها



من منشورات السحاب

مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإن صلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، فتحابوا وتواصلوا، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات!، وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فِعَالُكم أفضل من أقولكم، فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك، اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل، وأحبوا العرب، واصطنعوا العرف، فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده، عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر من وجهه، ثم ظفر فحمد، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرط ولا ضيع، ولكن القضاء غالب، وعليكم بقراءة القرآن، وتعليم السنن، وأدب الصالحين، وإياكم والخفة، وكثرة الكلام في مجالسكم).

شجاعته:

تقاس شجاعة المرء بانتخابه لثغره وأعدائه، فمن يختار لنفسه ثغرا آمنا وعدوا ضعيفا فنصيبه من الشجاعة بقدر عدوه، وقد ذكرنا آنفا أن المهلب كان شريكا مصاحبا لقطري بن الفجاءة في فتوح خراسان وإخضاع سجستان تحت إمارة ابن سمرة، على ما ذكره البلاذري، وكان قطري بن الفجاءة من أشهر وأفتك فرسان العرب وأشدهم بأسا، حتى قيل عنه: (ما استحيا شجاع أن يفر من عبد الله بن خازم، وقطري بن الفجاءة صاحب الأزارقة)، والفجاءة لقب لأبيه، لأنه غاب إلى اليمن، ثم أتى قومه فجاءة، واسمه جعونة بن يزيد بن زياد بن خنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك؛ وأخوه جرموز بن الفجاءة، كان على مذهب أهل السنة، وكان يقاتل أخاه الخارجي في سبيل الله، وعندما بايعته الأزارقة بالإمارة سمته (أمير الموت) لشدة سطوته في الحرب، وحكي عنه أنه خرج في بعض حروبه وهو على فرس أعجف وبيده عمود خشب، فدعا إلى المبارزة، فبرز إليه رجل، فحسر له قطري عن وجهه، فلما رآه الرجل؛ ولى عنه، فقال له قطري: إلى أين؟، فقال: لا يستحيي الرجل أن يفر منك.

وذكر الدميري في كتابه (حياة الحيوان) أن شخصاً قال للحجاج: (أيها الأمير..)، فقال الحجاج: (إنما الأمير قطري بن الفجاءة الذي إذا ركب ركب لركوبه عشرون ألفاً لا يسألونه أين تريد).

ويكفينا وصف الزرويلي لقطري في كتابه (سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي) حيث قال: (كان قطري بن الفجاءة طامة كبرى، وصاعقة من صواعق الدنيا في الشجاعة والقوة، وله مع المهالبة وقائع مدهشة).

فاتخذ المهلب من قطري عدوا له، واتخذ من قتال الخوارج ثغرا له، وأما قطري فقد كان يعرف صديقه المهلب حق المعرفة، وقد قال لأصحابه عنه: (أما المهلب فهو من قد عرفتموه، إن أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر، يمده إذا أرسلتموه، ويرسله إذا مددتموه، لا يبدأكم إلا أن تبدأوه، إلا أن يرى فرصة فينتهزها، فهو الليث المبر، والثعلب الرواغ، والبلاء المقيم).

***

الجهاد والقتال في فلسفة وأشعار محمد إقبال رحمة الله عليه

بقلم خطاب الهاشمي

• **إقبال والجهاد العالمي**

كانت الأنبياء قبل سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- تبعث لأقوامها فحسب، وأما هو فقد بُعِثَ بالإسلام لكل العالمين، هذه الرسالة العالمية تقتضي نشر الإسلام في كل بقاع الأرض، وتقتضي أن تكون الأرض كلها وطنا للمسلمين، أدرك إقبال مدى هذه الدعوة العالمية فكانت عالمية الجهاد حاضرة في فكره ورؤيته، فهو القائل: (المسلم الرباني ليس بشرقي ولا غربي، وإنما وطنه العالم كله)، وقد نظم ذلك في كثير من أشعاره، وأنشأ قصيدته الشهيرة التي طبقت الآفاق:

الصينُ لنا، والعُرْبُ لنا ... والهند لنا، والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا ... وجميعُ الكونِ لنا وطنا
توحيدُ الله لنا نُورٌ ... أعدَدْنَا الروحَ له سكنا
وأذان المسلم كان له ... في الغرب صدًى من همتنا
قولوا لسماء الكون لقد ... طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر أما جربت على ... نيران الشدة عَزْمَتَنَا
طوفانِ الباطل لم يُغْرِق ... فِي الخوف سفينة قُوتنا
يا ظِلَّ حدائق أندُلس ... أنَسِيتِ مغانيَ عِشرَتِنَا
وعلى أغصانِكَ أوكارٌ ... عُمِرَت بطلائعِ نشأتنا

ويقول إقبال في رائعة أخرى من روائعه الشهيرة المعروفة بقصيدة (شكوى)، مؤكدا على أحقية الإسلام في توسعه، وأحقية الجهاد في عولمته وتمدده:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسـ ... ـمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالا في الجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
كنا نرى الأصنام من ذهبٍ فنهـ ... ـدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها ... كنزا وصاغ الحِليَ والدينارا
لم نخش طاغوتا يحاربنا ولو ... نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهارا (لا إله) سوى الذي ... صنع الوجودَ وقدَّر الأقدارا
ورؤوسنا ياربِّ فوقَ أكُفِّنَا ... نرجو ثوابَكَ مَغنمًا وجِوَارَا

وفي قصيدته الثالثة الأخرى، يؤكد إقبال على عالمية الإسلام والجهاد، وفساد القطرية

والوطنية، بكل وضوح وبلا أي مواربة، فيقول:

قد خَلَصْنَا من حُدُودٍ وَقُيُودْ ... قلبنا في الغيبِ إذْ نحنُ شهودْ
قَلْبُنَا الخفَّاقُ يأبى مَوطِنَا ... رِيحُهُ العَاصِفُ تأبَى مَسْكَنَا
ليسَ من هندٍ ورُوْمٍ قَلْبُنَا ... ما سِوَى الإسلامِ فيهِ أرضنا
لا تَحُدُّ الأرضُ قلَب المسلمِ ... لا يَرَى في تِيِه أَنِّي وَكَم
ليسَ للمسلمِ في الأرضِ عَطَنْ ... حَائِرُ في قلبهِ كُلُّ وَطَنْ
صارت الأرض لدينا مسجدا ... إذ أشاع الفضلَ فينا وهدى

وإذا كانت هذه رؤية إقبال في الجهاد وعالميته، فلا غرو أن يكون مؤمنا بمشروع الأمة الواحدة، كافر بالدولة الوطنية والمناهج الديموقراطية، يقول رحمه الله:

نحن في الإسلام أبناء الخليل ... ﴿مِّن أَبِيكُمْ﴾ خُذْ إذا شِئتَ الدليل
أُمَمُ قد عبدَت أوطانَها ... وبَنَتْ مِنْ نَسَبٍ بُنْيَانَها
أَتَرَى الأوطانَ أصلَ الأُمَمِ ... تُعبَدُ الأرضُ بها كالصَّنَمِ
إنما الأنسابُ فخرُ السفهاءْ ... حُكمُها في الجسمِ، والجسمُ هَبَاء
نحن من نَعْمَائهِ حِلْفُ إخاءْ ... قلبُنا والروحُ واللفظُ سَواء
نحنُ فكرُ وخيالُ واحدُ ... وَرَجَاءُ وَمَآلٌ وَاحِدُ

• إقبال وأثر الإيمان والسلوك في نهوض الأمة

لقد وصف إقبال في أشعاره دور الإيمان في بناء العزة والكرامة، ودعا أهل الجهاد لإعمار قلوبهم بالإيمان والذكر الحكيم، وكان حريصا على إصلاح المجاهد نفسيًا وروحيًا ومعنويًا..

نحن بالإيمان نبني عزنا ... لا نبالي الهولَ لا نخشى الصعابا
وإذا الباغي رَمَى في غَرسِنَا ... جَذْوَةَ الظُّلمِ جعلناها تُرَابَا

ويمضي إقبال في النصح والإصلاح الجهادي، باذلا شعره في توضيح سمات المجاهد المؤمن وصفاته وأخلاقه فيقول ناصحا ومرشدا:

الدواءُ المرُّ للعقلِ الكبيرْ ... فاتركِ الحلواءَ للطفلِ الصَّغير
أنتَ في الحربِ نَشيدٌ مِنْ دِمَاءْ ... أنت في السِّلْمِ رسولٌ للإخاءْ
إنَّ أهلَ الحقِّ أربابُ الوفاءْ ... ليسَ سرّ الحقِّ عنهم في خَفَاءْ

نذروا أنفسهم في كُلِّ حينْ ... لِيَعُمَّ الخيرُ كُلَّ العالميْن
هكذا المؤمنُ رمزُ التضحياتْ ... يتفانى في اقْتِنَاءِ الباقِياتْ

وفي مقطوعة بديعة أخرى يقول:

ليسَ في ضوضاءِ هذي الأممِ ... نَغْمَةُ إلا أذانُ المُسْلِمِ
هو في العفوِ وفي البذلِ عظيمْ ... وَهْوَ حِيْنَ القَهْرِ ذُو طَبْعٍ كريمْ
لُطفُهُ في الحَفلِ جَبرُ المُنكسِرْ ... قَهرُهُ في الحربِ صَهْرٌ للحَجَرْ
هو في الرَّوْضِ صَفِيرُ البُلْبُلِ ... وهو في البِيْدِ انقِضَاضُ الأَجْدَلِ

ويستمر إقبال في إصلاح نية المجاهد، صيانة لدينه وإخلاصه، فيقول له: إن كان جهاد بسبب جوعك للأرض، فهو جهادُ باطل وحرام، لأنه جوع يَبْطِشُ بالخلق ويُهلِكُ الحرث والنسل، وإن كان جهادك بسبب جوعك للسماء، فهو جهادك الصالح المبرور..

خيرُ الحربُ إذا رُمْتَ الإلهْ ... شَرُ الحربُ إذا رُمْتَ سِوَاه
فإذا لمْ يَعْلُ حَقًّا سَيْفُنَا ... اكْتَسَى بالحربِ عارًا جُنْدُنَا
مَنْ لغيرِ اللهِ سَلَّ المِغْمَدا ... سَيفُهُ في صَدرِهِ قَدْ أُغْمِدَا

كما يرى إقبال أن المجاهد الصادق؛ يخضع للحق ، ويحب الخير والفوز والجنة للبشرية كلها، فالباعث الأول لجهاده إصلاح البشرية وفلاحها، فهو جهاد تُزَالُ به حواجزُ الطغاةِ التي تصد سلطان الإسلام عن الحركة في الأرض، وتمنعه من وصوله ليحكم شعوب العالم بالعدل..

إنما المسلمُ بالحُبِّ قَهَرْ ... مسلمُ لا حُبَّ فيهِ قَدْ كَفَرْ
غَضَّ للحَقِّ، وللحَقِّ نَظَرْ ... ولهُ في الحَقِّ نَوْمُ وَسَهَرْ

ومن أبياته في الإصلاح الجهادي أيضا، ونقده لدواعش عصره:

أتعيشُ بين المؤمنين مُفَرِّقًا ... للمسلمينَ وَتَدَّعِي التَّوْحِيْدَا
وتَظُنُّ ذِكْرَكَ طَاعَةً وعِبَادَةً ... وَهَوَاكَ صارَ إلهُكَ المُعْبُوْدَا

يقول أحد المستشرقين: (إن تأثير إقبال بقذائفه الصائبة؛ يفوق تأثير جيش مدجج بالسلاح، لأنه مع عاطفته الحارة، كان مسلحًا بالمنطق الصارم).

تأمل في قول هذا المستشرق ثم كرر البصر في هذه الإقباليات القادمات، التي يستنهض فيها

إقبال شباب الأمة للجهاد، وهو يستصرخهم ويصيح فيهم قائلا: إنكم جميعا مهما ادعيتم الخمول، فأنتم في الحقيقة: (خلايا جهادية قوية لكنها نائمة)، فلتستيقظوا يا أبطال، ولتهبوا لساحات النزال:

أيها الغافلُ عن سِرِّ الحَيَاةِ … لا يَمِيْزُ الخيرَ مِنْ شَرِّ الحياةِ
حَرِّرَنْ نفسَكَ مِنْ يَأْسٍ وَغَمْ … أنتَ بَأسٌ نائمٌ قُمْ لا تَنَمْ
إنْ رأى النَّفْسَ زُجَاجًا حَجَرُ … فَهْوَ فِيْ الحَقِّ زُجَاجٌ يُكسَرُ

ومن وصاياه الترشيدية الجهادية، تلك القصيدة الفذة التي ألهبت نفوس السامعين، وطارت بها ألسنة الخطباء والمحرضين، لا سيما في شبه القارة الهندية حيث يقول إقبال واصفا فلسفة الجهاد بأنها قائمة على بذل الرأس رخيصا لله جل جلاله، مقابل حفظ الله لإيمانه، فالمرء إما أن يبذل رأسه ليحفظ دينه وعرضه وإيمانه، أو يبذل دينه وإيمانه لعدو كي يحفظَ العدو له جسدَه ورأسَه، فيقول إقبال: ابذل رأسك وابخل بإيمانك وعرضك، فإن هذا ما يريده الله منك، وعش فقيرا زاهدا راكلا الدنيا برجليك، ومقتديا بسيدنا علي -عليه السلام- كي تكون مِثْلَهُ في قتل الفارس اليهودي (مرحب) وفتح (خيبر)، والزم التوحيد والسنة والعبادة والهجرة، وانسب نفسك منتميًا للإسلام لا غير، فإن أجدادك حينما ارتفعوا عن القومية، أثابهم الله بالعلو في الأرض، والاستيلاء على كل الأمم:

ليسَ غيرَ اللهِ يرجو المسلمُ … وهو للناسِ جميعًا سَلَمُ
لا تَبُثَّنَّ شَكَاةً أَحَدا … لا تَمُدَّنَّ إلى الخلقِ يَدَا
بالشعير اقْنَعْ، تَقَيَّلْ (حَيْدَرَا) … (مرحبًا) فاقتله، وافتحْ (خيبرا)
عن طريق المصطفى لا تَذْهَبَنْ … واترُكِ الأَرْبَابَ، والله اعْبُدَنْ
تَحْتَ قَابُوسَ ارْكُلَنْ بالأرجُلِ … ابْذُلِ الرأسَ، وبالدِّيْنِ ابْخَلِ
قائدُ الإسلامِ هارونُ الرشيدْ … مَن سَقَى نَقْفُورَ مِنْ مَاءِ الحَدِيدْ
قَدْ عَلَا قومُكَ عَنْ لونٍ وَدَمْ … فَعَلَا أُسودُهُ حُمْرَ الأُمَمْ
اتْرُكَنْ عَمًّا وأمًّا وَأَبَا … وكَسَلْمَانَ إلى الدِّيْنِ انْسُبَا

ومن موثبات إقبال الرائعة، توصيفه البديع لعزم المجاهد المؤمن وهمته ، وقوة إرادته وحنكته، وصواب عقله ونظره، وقوة بأسه بالطغاة الظالمين، فهو مستبينٌ وبصيرٌ بسبيل المجرمين، وله عزم لا يُكْسَرْ، فإذا ما انحدر على أبراج الظلم زلزل عمرانها، فلا يتركها إلا يبابًا خَرَابا، فعملياته الجهادية وضرباته الاستباقية تجعل الأبراج والجبال قاعا صفصفا:

نَظْرَةُ المؤمنِ مِصْبَاحُ مُنِير … فهوَ بالخيرِ وبالشرِ بَصِير
عَزْمُهُ الوَثَّابُ لا يخشى الصِّعَابَا … تاركًا ما عَمَّرَ الظُّلْمُ خَرَابَا
حوَّلَت ضَرْبَاتُهُ صُمَّ الصَّفَا … والجبالَ الشُّمَّ قاعًا صَفْصَفَا

ويصف إقبال أهمية التوحيد للمجاهد المسلم، فيقول له: إن نَشْرَ التوحيدِ وترسيخ قانونه في الأرض؛ هو المقصود الأول من الجهاد في سبيل الله، وأنت أيها المجاهد لم توجد على الأرض إلا لتصدع بالتكبير وكلمة التوحيد، أما سيف الجهاد فهو حليفك في نصرة الحق، وتحطيم كل الأصنام، وعليك أن تعلم أولا أنك مسلم، وأنك من أمة العدل والشهادة التي زكاها الله في كتابه، فواجبك الأساسي دعوة الأمم إلى الإسلام، وتبليغ سنن رسول الأنام -عليه الصلاة والسلام- إلى أن يبلغ الحق في الأرض أجله:

كلمةُ التوحيدِ مِنكَ المقصَدُ … أنتَ للتكبيرِ فيها تُوْجَدُ
سيفُ (لا معبود إلا هو) خُذِ … وبهِ الأصنَامَ هَذِي فَاجْذُذِ
الجهادُ المُرُّ حِلْفُ المسلمِ … أو يُدَوِّيْ الحقُّ بينَ الأممِ
أنتَ لا تدري بآياتِ الكتابْ … أمةَ العدلِ يُسمينا الخِطَابْ
أنتَ في الأيامِ نورٌ وبَصَرْ … شَاهدُ أنتَ على كُلِّ البَشَرْ
ادْعُوَنْ كُلَّ لَبيبٍ أَبْلِغِ … وَعَنِ الأُمِّيِّ قَوْلًا بَلِّغِ

وهنا يصور لنا إقبال مجاهدًا مُستضعفًا أسيرًا يسأله خَطْبِ الأسر والاستضعاف الذي أَلَمَّ به، فيجيب إقبال ذلك المجاهدَ الأسير المنكسر، حيث يحيط به العدو من كل مكان، ويقول له: يا أخا يوسف -عليه السلام- إن في محاصرة العدو لك حكمة حكيمة، ونعمة عظيمة، فهو يدلك على عظيم قدرك، ومقدار بسالتك، فهو يوقظ فيك قواك الكامنة، ويستثيرك للجهاد ومعالي الأمور، وهذا من أعظم أفضال الأقدار عليك، ومن أكبر أفضال وجود الأعداء للإنسان في حياته، فدع عنك الخوف والمسكنة، فلا طائل من حياة كحياة الأنعام والبقر، وتوثب لتمتشق حسامك بالعزم الـمُسْعَرِ الوثاب الذي يذيب الحجر، ولتزلزل العالم حتى تنال المجد والخلافة، فكم من سجين محاصر وصل بعزمه وجهاده سُدَّةَ الحُكْمِ والخلافة:

يا أخا يوسفَ في الذاتِ أَقِمْ … ومِنَ السجنِ إلى المُلْكِ اسْتَقِمْ
أَحْكِمَنَّ الذاتَ وانهضْ عَامِلا … ناصرًا للحق، سِرًّا حَامِلا
كم عدوٍ لَكَ في الحقِ صَدِيقْ … أنتَ بالأعداءِ ذُو غُصنٍ وَرِيقْ
قوةُ الأعداءِ فَضْلًا يُعْلَمُ … مِنْ مَقَامِ الذاتِ حقًّا يُفهَمُ
يُوقِظُ الخَصمُ قُواكَ الهامدةْ … مِثْلَ ما تُحْيَا المَوَاتُ الرَّاعِدَةْ
قوةُ العزمِ تُذِيبُ الحَجَرَا … مَا يُبَالِي السيلُ صخرًا إنْ جَرَى
ما غناءُ العيشِ مثلُ النَّعَمِ … مَا حَيَاةُ دونَ عَزْمٍ مُحْكَمِ
زَلْزِلِ العالمَ وافعَلْ مَا تَرَى … إنْ مَلَأْتَ الذاتَ عَزْمًا مُسْعَرَا

ثـم يعـود بنـا إقبال تارة أخـرى إلى قضية الإيمـان والخـوف وأثرهما على المجاهد المسـلم، فيقول لنا: إن أحسسـت بقلبك خوفا ووجلا فقلبك للأسـف قلبٌ مريض يوشـك أن يموت، فلتبادر بعلاجه بشـراب الإيمـان، لأن الإيمـان يحيـي القلوب المضطربـة، ولتبادر بسـقيه بآيات القـرآن، حتى ينبض قلبـك بالشـجاعة، فالقـرآن يطرد عـن القلب رجس الخوف ومهانة الشـرك:

قـوةُ الأيمـانِ تُحيـي فاعلمـنْ   وِرْدَ ﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فاقـرأنْ
قَلْبُهُ مِنْ ﴿ لَا تَخَفۡ ﴾ قلبٌ سَلِيمْ   حيـنَ يَمضي نحو فرعـونَ كَلِيمْ
كُلُّ مَـنْ يَفْقَـهُ سِـرَّ المصطفى   يجِدُ الإشراكَ في الخوفِ اختفى

ثـم يقـول للمجاهـد: احـذر قطـاع الطـرق، فـإن الخوف مـن غيـر الله أخطرهم وأشـدهم فتـكا، فهو يَغُـلُّ يديـك عـن الخيـر، ويقتـل أعمالك الصالحة، ويشـل إرادتك الحيـة، ثم يفتك بك ويقطف رأسـك كمـا تقطـف الـوردة بـكل سـهولة، فتنبه وتيقـظ، ومن فلسـفة إقبال التـي نثرهـا في دواوينه أن خـوف المسـلم مـن عدوه الكافـر يُعد مظاهـرة ومعاونـة منه للكافرين على جسـده المسـلم، فهو داخـل في التكييـف الفقهـي العقـدي ضمن حكـم: مـوالاة الكافريـن ومعاونتهم على المسـلمين، وهـذا هو الشـرك والـردة بعينها:

خـوفُ غيـرِ اللهِ قَتْـلُ العَمَـلِ   وَهْـوَ للأحيـاءِ قَطْـعُ السُّـبُلِ
إنْ تَجَلَّـى لِعَـدُوٍّ خَوفُـكَـا   هَـانَ كالـوردِ عليـهِ قَطْفُـكَا
سَـيفُهُ يَزْدَادُ فَـتْـكًـا في اليدِ   عَينُـهُ فِيـكَ حُسَـامُ لا يَـدِي
كُلُّ شَـرٍّ في فُـؤادٍ يُضْمَـرُ   أصْلُـهُ الخـوفُ إذا مَـا تُبْصِـرُ

ويختـم إقبـال نصحـه للمسـلم الخائف بقوله: إن شـعرت برعشـة الخوف في قلبك، فلتستشـعر نار قهـر الله في قلبـك، فتذكـر الثأر، فإن تَذَكُّـر الثارات يقوي العـزم ويحيي الإرادة:

نَـارُ قَهْـرِ اللهِ في جَوْهَـرِكَا   جَنَّـةُ الفردوسِ مَأوَى ظِلِّـكَـا
إنني في الجـوِّ أو في جَعْبَتِي   حَيْثُما كُنْتُ بِجِسْـمِي شُـعْلَتِي

ثـم يزدلـف إقبـال إلى آفة اليـأس ووباء القنـوط، فيراهما صِنْوانُ للخـوفِ والهلع، ويقـول: إنَّ الموت إذا أراد أنْ يَعْتَـدَّ بِعُـدَّةٍ وَعَتَـادٍ ليُدَمِّـرَ خصمـه، فلـن يجـد خيـرًا مـن اليـأس والقنـوط عُـدَّةً وعَتَـادً، فهـو يفتـك بعـزم المجاهـد وحزمـه، وكم من محـارب تخطى حاجـز الخـوف والهلع، بيد أنه فشـل في تجـاوز حاجـز اليـأس والقنـوط والإحبـاط، ولـم يفلـح في هـدم أسـوار الهـم والغم والحـزن عند المصـاب بالهزيمـة أو بفقـد الأحبـة، وقـد عالـج إقبـال هـذه المعوقـات والمبطئـات كثيـرا بشـعره العـذب، فـكان مما قال:

عُـدَّةُ المـوتِ قُنـوطُ مُحْبِـطُ   والحيـاةُ الحـقُّ أنْ لَا تَقْنَطُـوا
إنمـا العيـشُ رجـاءُ يُوصِـلُ   فقنـوطُ الحـيِّ سُـمٌّ يَقْتُـلُ



يـا سـجينَ الغـمِّ أَبْصِـرْ وَاسْـمَعِ   مِنْ رسـولِ اللهِ «لا تحزنْ» وَعِيْ
ذلـكَ النُّصْـحُ سَـرَى في قَلْبِـهِ   فَغَـدَا الصِّدِّيْـق صِدِّيْـقًـا بِـهِ
ذلـكَ النُّصْـحُ سَـرَى في قَلْبِـهِ   - إنْ عرفتَ اللهَ - أَغْلَالَ الطَّمَعْ
إنمـا المسـلمُ مِثْـل الكُوْكَـبِ   بَاسِـمُ في سَـعْيِهِ والـدَّأَبِ

وبعـد ذكـره لهـذه الأوبئة النفسـية، لـم أرَ إقبال يستشـيط حدة وشـدة كمثل حدته وشـدته على داء اليائـس القنـوط، فهـو يبـذل للمسـلمين الـدواء بـكل حـزم وتحريـض، ليوقظهـم مـن غفلتهم القاتلـة، فيقـول لهـم بلهجـة حـارة: إذا كان المـوت قـد جَنَّـدَ ضَدَّكـمَ اليأس والقنـوط، فـلا تُعِينوهُ على أنفسـكم، بـل اعتمـدوا وتوكلـوا على الله، وثقوا بالله، وتسـلحوا بالعزم الوقّـاد، وامضوا بهمة وعزيمـة وإصـرار لتُحَقِّقُـوا ما تريـدوه من قهـر عدوكم:

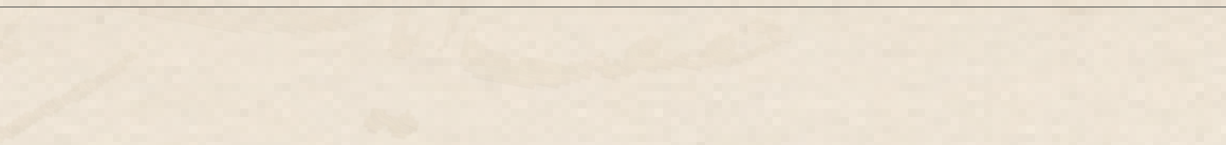
ثقـةُ المؤمـنِ بـاللهِ عَتَـادْ   فَتَـوَكَّلْ وَاعْتَـزِمْ نحـو المُـرادْ
شـيمةُ المؤمـنِ عَـزْمُ وَثِقَـةْ   حَيثُمـا هَـمَّ بَأَمِّـرٍ حَقَّقَـهْ
بِــهِــمَـا يَـسْمُـووَيَـمْـضِـي قَاهِـرَا   لا أَرَى اليَائِـس إلا كافـرا

ولعل الذي حمل إقبال على هذه الشدة والحِدة قوله تعالى:
﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ يوسف: 87.

وقـد شـهِدَ لإقبـال بالحميـة والأنفـة كثيـرُ مـن أدباء عصـره، ومن جميـل ما أشـادوا به مـن مواقفه الغيـورة، مـا قالـه شـيخُ العربيـةِ في العصـر الحديـث، العلامـةُ محمـود محمـد شـاكر -رحمـه الله- حيـث قـال: (... وكان أعظـم مـا أدهشـني؛ رفـضُ إقبال أن يدخل مسـجد باريـس، ومقالَتُـه: (إن هذا المسـجد ثمـنُ رَخِيـصُ لتدميـر دمشـق!!)، فلـولا أن الرجـل كان يعيـش في حقيقـةٍ صريحـةٍ، وفي ذكـر دائِـم لا ينقطـع، لِمَـا نَزَلَ بِنَا وَطَـمَّ، لَـمَـا خَطَرَ لَــهُ هذا الخاطـر، وكم من غافلٍ سَـاهٍ مِنَّا ومن قومنـا يَعْـرِضُ لَــهُ أن يحيـا تأريـخَ نفسـه وتأريـخَ دينـه بمثل هـذه الكلمة؛ ثـم لا تـراه إلا حيث يكره الله مـن الـذُّلِّ والضَّعَـةِ والعُبُودِيَّـة، والفتنـةِ بمـا زَيَّن له أعـداءُ الله وأعداءُ رسـولِه - صلى الله عليه وسـلم -) انتهـى كلام الشـيخ محمـود شـاكر الـذي علقـه على أبيـات إقبـال حينمـا رفـض دخـول مسـجد باريس منشـدًا:

يـا ناظـري لا يخدَعَنَّـكَ فَنُّـهُ   للـزورِ هـذا الحَـرَمُ المُغَـرَّبُ
فليـسَ هـذا حَـرَمُ لكنَّـهُ   عِنـدَ الفِرَنْـجِ للغـرَامِ مَلْعَـبُ
إنَّ الـذي شَـيَّدَ هـذا مَوْثِنًـا   دِمَشْـقُ مِـنْ عُدْوَانِـهِ تُخَـرَّبُ

بقـي أن نقـول: إن إقبـال مـع حدتـه وغيرتـه الإسـلامية، كان يدرك أن الجهاد ذروة سـنام الإسـلام، وأن الطامحيـن في البلـوغ والرقـي لهـذه الـذروة كثيـر، كمـا يـدرك أيضـا أن السـائرين في الوصـول لهـذه الـذروة لـن يفلـح في بلـوغ الغايـة ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ ، فطريـق الجهـاد محفـوف بالمـكاره، وهـو دربُ شـاقُ، ومَهْيَـعُ عسـير، قلمـا يُوفـق السـالكون للثبات فيه حتـى بلوغ ذروته، لذا سـيوجد في المسـيرة الجهاديـة مـن يسـتلبه الخـوف أو اليـأس والقنـوط فينكص عـن إكمال المسـير، فمن



الفقه السياسي والتدبير الإداري أن يفقه قادة الجهاد طبيعة هذا الطريق، وطبيعة السالكين فيه، كي يتم التعامل مع السالكين فيه وفق هذه المعطيات الإنسانية دون إفراط أو تفريط، لهذا نجد إقبال يلفت الأنظار إلى هذه الحقائق بشعره الرائق فيقول:

أُرَافِقُ في طَرِيقِي كُلَّ سَارٍ ... وأُهْدِيهِ نَصِيبًا مِنْ طريقي
ولَمْ أرَ في طريقي مُسْتَعِدًّ ... يكونُ إلى نِهَايتِهِ رَفِيقِي

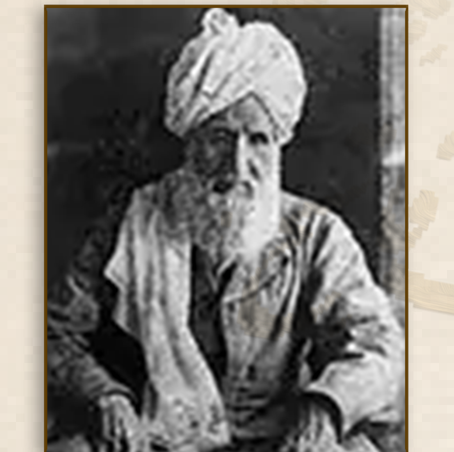
ما يريد إقبال أن يبلغنا إياه آنفا ببيتيه؛ أن ندرك مدى وعورة المسلك الجهادي، والتفاعل الحكيم مع السالكين فيه، فهذه الوعورة تقتضي نوعا من المشاركة، والمياسرة، والمداراة، وإطباق الجفن والإغماض تغافلا، مع الترشيد والمصابرة والتوجيه والعتاب اللطيف، لكن لا ينبغي أن نغفل عن الحقيقة القرآنية التي علمتنا أنه لن يصل مع جالوت لقتال طالوت إلا عشر معشار المجاهدين، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ
اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾

*لوح بھی تو قلم بھی تو تیرا وجود الکتاب
گنبدِ آبگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب!
عالمِ آب و خاک میں تیرے ظہور سے فروغ
ذرّۂ ریگ کو دیا تو نے طلوعِ آفتاب!
شوق ترا اگر نہ ہو میری نماز کا امام
مرا قیام بھی حجاب مرا سجود بھی حجاب!
تیری نگاہِ ناز سے دونوں مراد پا گئے
عقل غیاب و جستجو عشق حضور و اضطراب!
محمد اقبال

*نسخة بخط الدكتور محمد إقبال رحمه الله

رواق إقبال



والده: الشيخ نور محمد



إقبال والوفد المصري الأزهري في مدينة لاهور _ ١٩٣٧م





أستاذه للغة العربية:
المولوي سيد مير حسن



إقبال في أفغانستان مع العلامة
سيد سلمان الندوي _ ١٩٣٣م



(على الجانب الأيمن) إقبال في القدس _ ١٩٣١م






فأيُّ الرِّقَّيْنِ أرقُّ ؟!

الرِّقُّ وحقيقته في الشريعة الإسلامية

بقلم: سلمة النجدي

بسم الله رب الناس، ملك الناس، إله الناس، الذي له كمال العلم، وكمال الحكمة، وتمام اللطف، وجمال الرحمة، فهو سبحانه عليم بشؤون خلقه، رحيم بهم، حكيم في خلقه، وفي تشريعه، وفي أمره، فشرع للناس ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، وما يكفل لهم السعادة الحقة والحرية والعدل والمساواة في نطاق عادل وبهدي شامل، وفي حدود لا تضيع معها حقوق الخالق سبحانه، ولا حقوق خلقه.

لقد أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين بالشرائع السماوية لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فمن اتبع سبيل الله واهتدى بهدي رسله كان أهلاً للكرامة ونيل الفوز والسعادة، ومن أبى أن يسلك طريق الاستقامة فعاند وحارب وطغى في الأرض فسادا، نزل له بعد تمام الدعوة والتحذير والإنذار ما يكرهه من قتل أو استرقاق وسبي، كل ذلك إقامة للعدل الذي به قيام السموات والأرض، وتحقيقاً للأمن والسلام، وتوطئةً لدخول الناس في الإسلام، ومحافظة على النفوس والأعراض والأموال، ومن أجل ذلك كله شرع الله الجهاد في سبيل الله لرفع الحواجز والسواتر والسدود التي يقيمها المجرمون الظالمون في أرض الله لصد سيلان نور الله فيها، وللقضاء على عناصر الفساد بالأرض التي تحول بين الله وخلق الله من أن يبلغهم نور الله، تطهيرا للأرض منهم كما طهرت السموات من سيدهم إبليس.

حينما أضاء الإسلام العالم، وأشرق نور الله على وجه الأرض؛ كان من أَجَلِّ وأعظم أهدافه القضاء على الرق والسبي والاستعباد والظلم، فكانت فريضة الجهاد في سبيل الله وسيلة للقضاء على المناوئين لانتشار نور الله في الأرض، والمحاربين للغايات الإسلامية في تحرير البشر من ظاهرة استعباد البشر للبشر، وتحريرهم ليكونوا عباداً لرب البشر..

وجد الإسلام في طريقه ظاهرة السبي قائمة بين أمم الأرض في تلك المرحلة من تأريخ الصراعات الإنسانية، ولأن الإسلام دين واقعي يعطي لكل مشكلة حلاً، فقد ظهر نوره والرق شائع في أمم الأرض كلها، لا فرق عندهم بين أن يؤخذ الرقيق في حرب مشروعة، أو عدوان ظالم، أو احتيال على أخذ الحر غدراً وخيانة، فضيق الإسلام هذا الباب غاية التضييق، وشدد في حرمة بيع الحر واسترقاقه، وحصر دائرة الرق فيما أخذ من طريق الجهاد المشروع بعد الإنذار والتحذير، ثم سعى للقضاء على الرق وتحرير الأرقاء بكل ممكن مشروع، بدءا من الدعوة للدخول في دين الله الإسلام، لأن الكفر ومحاربة الله ورسوله هو سبب الرق أصالة، ثم رغب الإسلام وحبَّذ أهله في إنهاء الرق ترغيباً ظاهراً بتوسيع أسباب العتق وتكثيره لمجالات تحرير الرقاب، ككفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة القتل، مع حثه الشديد وتأكيده الأكيد على الإحسان إلى الرقيق، وتعليمهم، وتأديبهم، وإكرامهم، وإعانتهم، وحفظ حقوقهم..

لقد نهج الإسلام في القضاء على هذه الظاهرة طرقاً كثيرة، ومتى ما استقام المسلمون على المنهج التام للإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا؛ فسيختفي الرق والسبي من على وجه الأرض، لانعدام أسبابه ومسبباته في البشرية، وهذا الهدف الإسلامي لإنهاء الرق لا يعني إبطال أحكام الرِّقِّ ابتداء إذا وُجِدَتْ أسبابُه؛ كالجهاد بين المسلمين والكفار، فالرق إنما شرع للقضاء على سببه وهو محاربة الله ودينه ورسوله.

قال ابن قدامة في (المغْني): (الأصل في الآدميينَ الحريةُ؛ فإن الله تعالى خَلَق آدم وذريته أحرارًا، وإنَّما الرِّقُّ لعَارِضٍ)، ولهذا لا ينفذ في شرع الله أن يختار الحر لنفسه أن يكون رقيقا، ولا أن يرضى الحر ولا العبد المسترق باسترقاقه، ولهذا شرع الإسلام لهم باب المكاتبة ليحرروا أنفسهم بأنفسهم، ورغب المؤمنين بعتق الرقاب وتحريرها، قال ابن الهمام في (فتح القدير): (الحرية حق الله تعالى؛ فلا يَقدِر أحدٌ على إبطاله إلا بِحُكْم الشرع، فلا يجوز إبطال هذا الحق، ومِن ذلك لا يجوز استرقاق الحُرِّ، ولو رَضِيَ بذلك).

قبل نزول نور الإسلام للأرض؛ كان من طقوس الحروب الانتقام والثأر الهمجي واغتصاب السبايا الجماعي، فهي عادة قديمة للمناوئين لشرائع السماء، فجاء الإسلام بمنهج تدريجي للقضاء على الرق والسبي في الأرض، محاربا لهذه الظاهرة الحربية القديمة الظالمة، فعالج الإسلام هذه الظاهرة الطاغية وجعل جزاءها من جنسها، فمن حارب وسعى لاستعباد البشر للبشر، عوقب باستعباده هو وذويه ولكن لرب البشر، وأباح الله تعالى معاقبة الظلمة الذين يستعبدون الناس لأنفسهم باستعبادهم هم وذويهم لله على يد أوليائه، مع مراعاة حاجيات ذوي هؤلاء الظلمة بعد نزول القضاء العادل بهم، فشرع الله تعالى لأوليائه الذين ينشرون دينه ونوره في الأرض أن يهتموا بذوي الظالمين، واحتوائهم، وإعادة تأهيلهم في المجتمع المسلم، فأباح للمسلمين المجاهدين نكاح نسوة الظالمين بعد مقتل أزواجهم وانفصالهم عنهم للقيام بأمورهن وقضاء حوائجهن ريثما يتمكن الإيمان والصلاح من قلوبهن، وجعل لجواز مواقعتهن نظاماً معيناً وأحكاماً خاصة، فنظم بذلك دخولهن التدريجي في المجتمع الإسلامي ليكونوا لبنات خير وبناء فيه، وفلسفة السبي والرق في الإسلام قائمة على مبدأ إصلاح المرأة الكافرة بعزلها عن بيئة الشر، وتنظيم تعايشها في مجتمع إسلامي يهديها للصراط المستقيم، وينقذها من طريق الجحيم، ويطهّرها من أدران

الرِّقُّ وحقيقته في الشريعة الإسلامية

الكفر والضلال والرذيلة، ويجعلها أهلاً لحياة حرة كريمة تتمتع فيها بالأمن والسلام ورحمة الإسلام، فالسبي في الإسلام عبارة عن مَطْهَرَةٍ لإصلاح وتأهيل عقل المرأة، وقلبها، وعقيدتها من أزمة الخواء الروحي، وإنقاذها من هيمنة الكفر البهيمي وحرياته الإباحية المنفلتة التي تضطهد المرأة وتتحرش بها، وتجعلها مرحاضا للنزوات في جميع الأوقات، فلذا نهى الإسلام عن قتل أطفال ونساء الحربيين لسهولة تأثرهن، وسرعة استجابتهن، نتيجة لضعف عقولهن وخوائهن العاطفي..

إن الأجساد والأرواح ملك لله تعالى، ومن حقه تعالى أن يبيح دماء وأعراض وأموال من جحدوا ملكه وهيمنته على العالمين، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، فالباعث على الرق هو الكفر، ومحاربة الله ورسوله فقط، والإسلام قد حصر مصادر الرق التي كانت قبل الرسالة المحمدية في مصدر واحد فقط وهو: رق الحرب الذي يفرض على الأسرى من الكفار حال الجهاد في سبيل الله، بينما هو عند غير المسلمين باب مفتوح بلا زمام ولا خطام، وبلا آداب ولا أخلاق، وإنما هي الرذيلة والاضطهاد، والفحشاء والظلم، بيد أن كثيرا من الناس وأعداء الشريعة يظنون أن نكاح المسبية هو أول ما يصار إليه بعد الظفر في الحرب، بينما الأمر ليس كذلك، فالشريعة تبيح للمسلمين إذا استرقوا الرجل الكافر مع زوجه، ووقعا تحت ملك رجل واحد من المسلمين، أن يُبْقِيَ المسلم زواجهما على ما هو عليه دون تدخل منه لا سيما إن كان لهما أولاد صغار رحمة بهم، وحينها لا يجوز لمالكها معاشرتها مع كونها ملك يمينه لأنها في عصمة زوجها، إلا أن الشريعة الإسلامية أباحت للمسلم أن يفرق بينهما ببيع أحدهما لمالك آخر، فيكون هذا التفريق الجائز شرعا كحكم تطليق القاضي الشرعي بعد مخالعة المرأة الحرة لزوجها، فيحق لمالك المسبية حينئذ أن يعاشرها شريطة استبرائها شهرا كاملا، والاستبراء هو التأكد من براءة رحمها من الحمل من زوجها السابق قبل معاشرة مالكها لها، فإن كانت حاملاً: فعليه أن ينتظر حتى تضع حملها، لثبوت النهي في السنة من أن يسقي المسلم ماءه زرع غيره، وأما إن كانت غير متزوجة فيجوز له معاشرتها بشرط أن تكون بالغة مطيقة للنكاح، كما أن المسبية إذا عاشرها مالكها فحملت منه وولدت له ولدا، فلا يجوز حينئذ بيعها، لأن بيعها يؤدي إلى التفريق بينها وبين ولدها، وحينها تحكم الشريعة الإسلامية بأن ولدها حر لا رقيق كأمه، وأنها بهذا الولد تُصبح أيضا مثله حرةً بوفاة مالكها.

إذن فمسألة الرق في الإسلام لها شروط وضوابط تجعلها في الإطار الأخلاقي الصحيح، مع تشوف الشريعة الإسلامية الكبير لتحرير هذه المرأة المسبية التي لحقها شيء من الأسر غير المؤبد، جزاء إرادة ذويها الفتك بالمسلمين، أو تمنيها بقلبها وتشجيعها ومعاونتها المعنوية لذويها على جريمة قتل المسلمين، فهو في الشريعة الإسلامية: استصلاح وقيود في مقابل إرادة عدونا لقتل أطفالنا ونسائنا والاعتداء عليهم، ثم هو خاص في الإسلام بنساء خصمنا المحارب لنا والباغي لقتلنا، ولا يشمل كل خصوم الإسلام ممن لهم مع أهل الإسلام عهد أمان، أو عقد ذمة، أو موادعة، ثم إن من تُسبى من نساء الحربيين لا تكون متعةً مشاعةً لكل أحد من المسلمين، بل هي لمن تقع في سهمه من المسلمين فقط، فهي رقيقة مملوكة تعاشر سيّدا واحد منهم، ولا يجوز لسيدها أن يُجبرها على معاشرة غيره من المسلمين، بل حرَّم الله تعالى أن يشترك معه أحد في معاشرتها حتى ولو كان ابنه وولده،





وجعل من حقهن نيل الحرية بالمكاتبة، كما قال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾والمكاتبة: عقد توافقي بين السبية ومالكها، تدفع السبية بموجبه مبلغ مالي معين ومكتوب لتحرير نفسها وشراء حريتها، ويجوز لها إن لم تمتلك هذا المبلغ أن تمارس بعاطفتها دورا إقناعيا تقنع به مالكها أن يتزوجها بمهر تحريرها -إن لم يجد حرة غيرها-، فتكون له زوجة حرة لا أمة مسبية..

ومن الجدير بالذكر أن السبي في الإسلام جاء بما ليس عند أحد من أهل الأرض من القواعد الأخلاقية والمعاملات السلوكية في التأريخ البشري بالإطلاق، فأوجب الإسلام على أهله حسن التعامل مع المرأة المسبية خصوصا، والرقيق عموما، وأمر أمرا جازما بالرفق بهم، وإطعامهم مما نطعم، وكسوتهم مما نكتسي، وأن لا نكلفهم من الأعمال إلا ما يطيقون، مع حث الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على عتقهم، بل وأوجب شرعا عتقهم وتحريرهم في أحوال عديدة ككفارة القتل الخطأ والظِهار واليمين، ورتب الشرع الإسلامي عظيم الأجر على تحرير الرقيق، فالمقصود والحكمة إذًا من الرق كله؛ أن يتم إعادة تأهيلهم من نجس الكفر ولوثاته عبر إدماجهم في المجتمع الإسلامي، ليقتنعوا بأن دين الإسلام هو دين الله الحق فيدخلون فيه عن رضا لا إكراه، لتنال خير الدنيا والأخرة بجنة عرضها السموات والأرض، فهذه هي فلسفة الرق وفذلكته في الشريعة الإسلامية.

إن العقل البشري لو تأمل بحيادية فكرية أن هذا العدو الذي صار هو وعائلته رقيقا عند المسلمين، كان حريصاً ومتمنيا قتلنا وقتل نسائنا وأطفالنا، لما كان سبينا لنسائه بالضوابط الإسلامية وحقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية إلا عين الحكمة والعدل والإستصلاح، فسبي النساء واسترقاق الأطفال بعد ذلك أهونُ مما اعتاد عليه أكثر المحاربين من قتلهم أو اضطهادهم أو تركهم في العراء بلا معيل وحافظ، ولذلك كان أعداء الإسلام عبر التأريخ عند انهزامهم يقدمون خيار الأسر والاسترقاق لأنفسهم ولذويهم على القتل، ويطلبون من المسلمين المنتصرين أن يبقونهم أحياء للقيام بالأعمال الخدماتية في دار الإسلام بين المسلمين، وليت أعداء الشريعة يتأملون ويقارنون بين حقيقة الغرب واسترقاقه لشعوب ضعيفة بأكملها لا سيما ما تفعله أمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني ودولة السويد الأن في أطفال المسلمين من سبي واسترقاق وتفريق ظاهر جائر عن أمهاتهم أمام العالم وبحماية القانون الجائر، وبين حقيقة الرق والسبي في الإسلام، فالعجب كل العجب أنهم بعد ذلك يتهمون الشريعة الإسلامية بتجويز اغتصاب نساء الحربيين واستحياء أطفالهم بعد النصر، دون استنكاه روح الشريعة الإسلامية وفلسفتها في هذا الباب..

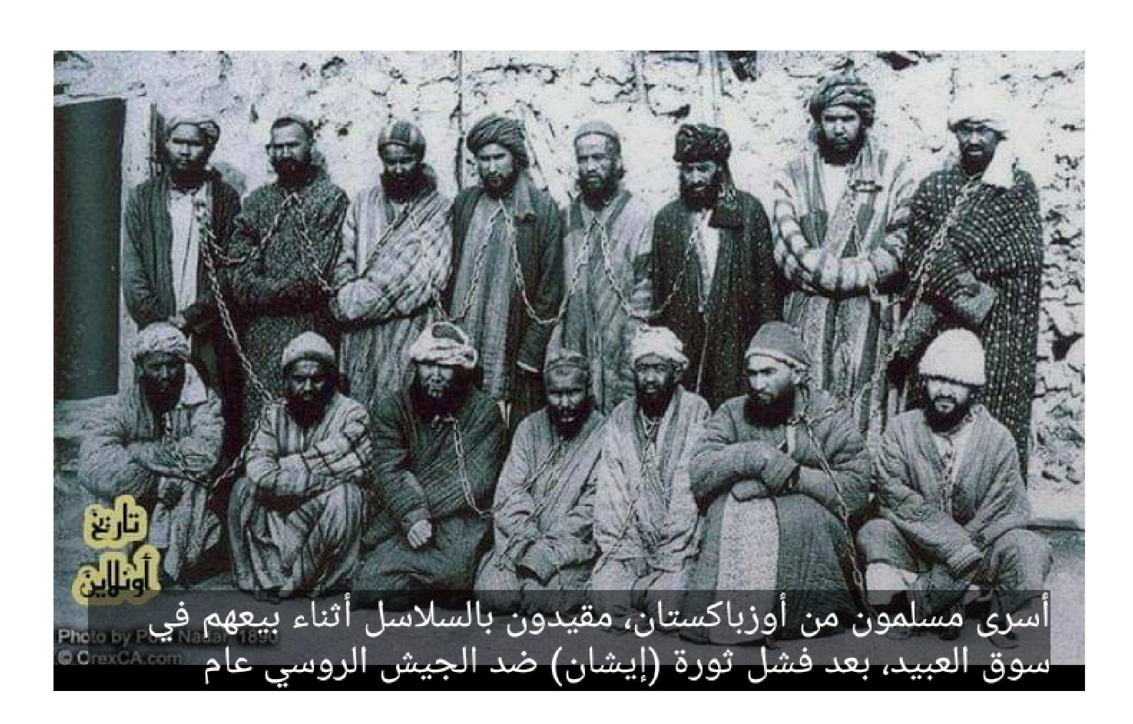
فَأَيُّ الرِّقَّيْنِ أَرَقُّ وألطف ؟ .. رق الإسلام أم رق خصومه؟!

رق الغرب في أقفاص جوانتانامو وسجونه التي لا يزال فيها من المسلمات العفيفات المضطهدات كالدكتورة عافية صديقي -فرج الله كربها- والمئات من الطاهرات المؤمنات أمثالها، ورق دولة السويد المارقة التي تفرق الرضيع الصغير عن أمه وأبيه، وأخته وأخيه، وعائلته التي تؤويه، أم رق الإسلام الذي هو رحمة وتأديب وتأهيل وتربية واستصلاح، مع الحفاظ على شمل الأم بطفلها، وكفالة حق انطلاق الرقيق في الأرض، بآداب وأخلاق وقوانين الإسلام، وقوانينه الصارمة على المسلمين تجاه تعاملهم مع الرقيق، بحسن معاملتهم والرفق

فأي الرقين أرق!؟ الرِّقّ وحقيقته في الشريعة الإسلامية




بهم، وعدم جواز إيذائهم، وحُرمة الاعتداء عليهم، ففي الحديث الصحيح: «مَن قتل عبدَهُ قتلناهُ، ومَنْ جَدَعَ عبدَهُ جَدَعناهُ»، وروى البيهقي عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَرِّثُهُ، وَمَا زَالَ يُوصِينِي بِالْمَمْلُوكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ يَضْرِبَ لَهُ أَجَلًا أَوْ وَقْتًا إِذَا بَلَغَهُ عَتَقَ»، وحينما جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ خَادِمِي يُسِيءُ وَيَظْلِمُ. فَقَالَ: «تَعْفُو عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً» وأوجبت الشريعة أن يطعموا مما يطعم سيدهم، وأن يكسوهم سيدهم من نفس ما يكتسي هو به وأهل بيته، وقد ساوى الإسلام بين السيد وعبده في الإخوة والحقوق الإنسانية حتى كان الصحابة يلبسون عبيدهم مثلما يلبسون من الحلل، ففي صحيح البخاري عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»، وبلغت صرامة قوانين حقوق الرقيق في الشريعة الإسلامية لحد العناية بقوانين الخطاب معهم، ومساواتهم بالأحرار فوق القضايا المعاشية من طعام وشراب ولباس، فأوجب الترفق بهم في ندائهم وحسن التخاطب معهم، ومن بنود هذه القوانين الحقوقية الإسلامية تجريم مخاطبتهم بـ : (عبدي) و (أمتي)، والإلزام باحترامهم في مناداتهم، ففي حديث صحيح البخاري: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ:



أسرى مسلمون من أوزباكستان، مقيدون بالسلاسل أثناء بيعهم في سوق العبيد، بعد فشل ثورة (إيشان) ضد الجيش الروسي عام

رق الغرب في أقفاص جوانتانامو وسجونه التي لا يزال فيها من المسلمات العفيفات المضطهدات كالدكتورة عافية صديقي -فرج الله كربها- والمئات من الطاهرات المؤمنات أمثالها،

عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي»، وثبت أيضا أن من قذف مملوكه فإنه يجلد حد القذف، ففي صحيح مسلم: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا، يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ»، فإلى هذا الحدِّ بلغت عناية الإسلام بالعدل وحفظ الحقوق والرقة واللطف مع الرقيق، ومراعاة نفسياتهم واحترام مشاعرهم، ومساواتهم بسيدهم في التأدب

الرق في الشريعة الإسلامية مدرسة تربوية، ومطهرة اجتماعية، وجامعة إصلاحية، يتم فيها تأهيل المناوئين لدين الله تحت حضانة المجتمع الإسلامي، فليس هناك أقفاص ليعيشوا بداخلها، ولا حقوق اجتماعية يعيشون بدونها،

بألفاظ الخطاب، وهذا ما جعل الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه يقول: (وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ).. فَأَيُّ الرِّقَّيْنِ أَرَقُّ وَأَلْطَفُ !؟
وإذا أمعن الدارس تأملا في قوانين الشريعة الإسلامية تجاه الرقيق لوجد عجبا من جهة تشديد الإجراءات القانونية والجزائية على





الأحرار، وتسامحها الشديد مع الرقيق، حتى بلغ الأمر بوجوب قتل ورجم المرأة الحرة المحصنة إذا زنت، والاكتفاء بجلد الرقيقة الزانية ولو تكرر منها مرارا، ففي صحيح البخاري عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا زَنَتْ الأَمَةُ فَاجْلِدُوهَا ثُمَّ إِذَا زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا ثُمَّ إِذَا زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ بِيعُوهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ»، كما ثبت في القانون الإسلامي أن مجرد ضرب السيد لرقيقه المملوك عقوبته في الشرع شديدة، وكفارته تحرير الرقيق وإعتاقه، ففي صحيح مسلم: «مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ»، وفيه أيضا عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ».
وبهذا البيان الموجز يتضح للدارس والمحقق والمتوسع في دراسة القانون الإسلامي أن الرق في الشريعة الإسلامية مدرسة تربوية، ومطهرة اجتماعية، وجامعة إصلاحية، يتم فيها تأهيل المناوئين لدين الله تحت حضانة المجتمع الإسلامي، فليس هناك أقفاص ليعيشوا بداخلها، ولا حقوق اجتماعية يعيشون بدونها، وإنما هي الكفالة الاجتماعية، والرحمة والشفقة الإسلامية، والقيام بالضروريات والحاجيات والتحسينيات الحياتية، مع مراعاة مبادئ العدالة والعيش المشترك دون إكراه في الدخول للإسلام، فلا إكراه في الدين، وإنما هو الإقناع والاحتواء والتأهيل، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



... لـو لـم يكـن للكبيـرة مـن شـؤم وفضيحـة إلا الوقـوف بيـن يـدي الله سـبحانه وتعالـى بـدون حائـل وهـو يحملها شـاهدة عليـه وكأنَّـه يواقعها في الحـال لجعلتـه يراجـع نفسـه مـرات ومـرات قبـل مقارفتهـا، حيـث يقـول صلـى الله عليـه وسـلم: (مَـا مِنْكُـمْ مِـنْ أَحَـدٍ إِلَّا سَـيُكَلِّمُهُ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ، لَيْـسَ بَيْنَـهُ وَبَيْنَـهُ تَرْجُمَـانٌ، ثُـمَّ يَنْظُـرُ أَيْمَنَ مِنْـهُ، فَـلَا يَـرَى إِلَّا شَـيْئًا قَدَّمَـهُ، ثُـمَّ يَنْظُـرُ أَشْـأَمَ مِنْـهُ، فَـلَا يَـرَى إِلَّا شَـيْئًا قَدَّمَـهُ، ثُـمَّ يَنْظُـرُ تِلْقَـاءَ وَجْهِـهِ، فَتَسْـتَقْبِلُهُ النَّـارُ». قَـالَ: فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «مَـنْ اسْـتَطَاعَ مِنْكُـمْ أَنْ يَقِـيَ وَجْهَـهُ النَّـارَ وَلَـوْ بِشِـقِّ تَمْـرَةٍ، فَلْيَفْعَـلْ») (إسـناده صحيـح على شـرط الشـيخين).

وحتـى جوارحـه التـي عصـى الله لإشـباع رغبتهـا الجامحـة ونزوتهـا الدنيئـة سـتتبرأ منـه وتشـهد عليـه إذا مـا أنكـر فعلهـا وطالـب بالشـهود عليها، وهـذا مصداقا لقولـه تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (النـور: 24).

و(عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ، قَـالَ: كُنَّـا عِنْـدَ رَسُـولِ اللهِ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَضَحِـكَ، فَقَـالَ: هَـلْ تَـدْرُونَ مِـمَّ أَضْحَـكُ؟ قَـالَ قُلْنَـا: اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَعْلَـمُ، قَـالَ: مِـنْ مُخَاطَبَـةِ الْعَبْـدِ رَبَّـهُ، يَقُـولُ: يَـا رَبِّ أَلَـمْ تُجِرْنِـي مِـنَ الظُّلْـمِ؟ قَـالَ: يَقُـولُ: بَلَـى، قَـالَ: فَيَقُـولُ: فَإِنِّـي لاَ أُجِيـزُ عَلَى نَفْسِـي إِلاَّ شَـاهِدًا مِنِّـي، قَـالَ: فَيَقُـولُ: كَفَـى بِنَفْسِـكَ الْيَـوْمَ عَلَيْـكَ شَـهِيدًا، وَبِالْكِـرَامِ الْكَاتِبِيـنَ شُـهُودًا، قَـالَ: فَيُخْتَـمُ عَلَى فِيـهِ، فَيُقَـالُ لأَرْكَانِـهِ: انْطِقِـي، قَـالَ: فَتَنْطِـقُ بِأَعْمَالِـهِ، قَـالَ: ثُـمَّ يُخَلَّـى بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ الْـكَلَامِ، قَـالَ فَيَقُـولُ: بُعْـدًا لَكُـنَّ وَسُـحْقًا، فَعَنْكُـنَّ كُنْـتُ أُنَاضِـلُ) رواه مسـلم

لـو لـم يكـن إلا فَضْحَـهُ في هـذا الموقـف الرهيـب لكانـت رادعـة لمن كان لـه قلبٌ خاصـة مـع فقـد النَّصِيـر وتَنَصُّـلِ الخِـلِّ مـن أنْ يكـون هـو سـبب غوايتـه أو إعانتـه على معصيـة الله، يقـول تبـارك وتعالـى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزخـرف: 67).



فأيـن هـذا مـن القمـة السَّـامِقَة التـي يعتليهـا الشَّـاب المؤمـن الـذي نشـأ في طاعـة الله، أو الرَّجُـلِ المعلـق قلبـه بالمسـاجد وذكـر الله، أو المجاهـد الـذي سـال دمـه أو قطعـت أوصالـه جهـادا في سـبيل الله وسـعيا لإقامـة دينـه وتحكيـم شـريعته؟!

يقـول صلـى الله عليـه وسـلم: (سَـبْعَةٌ يُظِلُّهُـمُ اللَّهُ في ظِلِّـهِ يَـومَ لاَ ظِـلَّ إِلاَّ ظِلُّـهُ: الإِمَـامُ الْعَـادِلُ، وَشَـابٌّ نَشَـأَ بِعِبَـادَةِ اللهِ، وَرَجُـلٌ قَلْبُـهُ مُعَلَّـقٌ في الْمَسَـاجِدِ، وَرَجُـلاَنِ تَحَابَّـا في اللهِ اجْتَمَعَـا عَلَيْـهِ وَتَفَرَّقَـا عَلَيْـهِ، وَرَجُـلٌ دَعَتْـهُ امْـرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِـبٍ وَجَمَـالٍ، فَقَـالَ: إِنِّـي أَخَـافُ اللَّهَ، وَرَجُـلٌ تَصَـدَّقَ بِصَدَقَـةٍ فَأَخْفَاهَـا حَتَّـى لاَ تَعْلَـمَ يَمِينُـهُ مَـا تُنْفِـقُ شِـمَالُهُ، وَرَجُـلٌ ذَكَـرَ اللَّهَ خَالِيًـا، فَفَاضَـتْ عَيْنَـاهُ) متفـق عليـه.

ومِمَّـا علـم مـن قصـص السَّـلف والخلـف أن مـن تـرك شـيئا لله وعـف عـن محارمـه واسـتنكف أنْ يعصـي خالقـه ومـولاه، عوضـه الله في الدنيا خيرا وأطيـب وأطهـر ممـا تركـه وعـف عنـه وأبدلـه سـعادة وسـكينة ومحبـة بيـن العبـاد.

وهـل يليـق بالمسـلم العاقـل اللبيـب الشـريف إلا أنْ يُجـازي إحسـان الله إليـه ونعمـه التـي لا تعد ولا تحصـى بـأداء مـا افترضـه الله عليـه واجتنـاب مـا نهـاه عنـه، والتَّحبـب إليـه بالطاعـات والقربـات، وصـون الجـوارح التـي هـي منـة مـن الله عليـه أن يسـتخدمها فيمـا يغضـب ربـه، وهـو الـذي إن شـاء لذهـب بسـمعه وبصـره وقوتـه في طرفـة عيـن أو أقـل منهـا؟!

ومـع الاسـتمرار في ارتـكاب الكبائـر فـلا يـأس مـن رحمـة الله ومجاهـدة النفـس لتقلـع عنهـا، فـإن الذنـوب لـو بلغـت عنـان السـماء ولكـن صاحبهـا لقـي الله سـبحانه وتعالـى لا يشـرك بـه شـيئًا فـإن الله يغفرهـا لـه إن شـاء؛ يقـول تعالـى: ﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (الزمـر 53-55).

جـاء في تفسـير العلامـة السَّـعدي رحمـه الله عنـد هـذه الآيـات الكريمـات: «يخبـر تعالـى عبـاده المسـرفين بسـعة كرمـه، ويحثهـم على الإنابـة قبـل أن لا يمكنهـم ذلـك فقـال: ﴿قُلْ﴾ يـا أيهـا الرسـول ومـن قـام مقامـه مـن الدعـاة لديـن اللّه، مخبـرًا للعبـاد عـن ربهـم: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ باتبـاع مـا تدعوهـم إليـه أنفسـهم مـن الذنـوب، والسـعي في مسـاخط عـلام الغيـوب.

﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكـم إلـى التهلكـة، وتقولـوا قد كثـرت ذنوبنا وتراكمـت عيوبنـا، فليـس لهـا طريـق يزيلهـا ولا سـبيل يصرفهـا، فتبقـون بسـبب ذلـك مصريـن على العصيـان، متزوديـن مـا يغضـب عليكـم الرحمـن، ولكـن اعرفـوا ربكـم بأسـمائه الدالة على كرمـه وجـوده، واعلمـوا أنـه يغفـر الذنـوب جميعًـا مـن الشـرك، والقتـل، والزنـا، والربـا، والظلـم، وغير ذلـك مـن الذنـوب الكبـار والصغـار. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: وصفـه المغفـرة والرحمـة، وصفـان لازمـان ذاتيـان، لا تنفـك ذاتـه عنهمـا ....ولكـن لمغفرتـه ورحمتـه ونيلهمـا أسـباب إن لـم يـأت بهـا العبـد، فقـد أغلـق على نفسـه بـاب الرحمـة والمغفـرة، أعظمهـا وأجلهـا، بـل لا سـبب لهـا غيـره، الإنابـة إلـى اللّه تعالـى بالتوبـة النصـوح، والدعـاء والتضـرع والتألـه والتعبـد، فهلـم إلـى هـذا السـبب الأجـل، والطريـق الأعظـم.

ولهـذا أمـر تعالـى بالإنابـة إليـه، والمبـادرة إليهـا فقـال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بقلوبكـم ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ بجوارحكـم، إذا أفـردت الإنابـة، دخلـت فيهـا أعمـال الجـوارح، وإذا جمـع بينهمـا، كمـا في هـذا الموضـع، كان المعنـى مـا ذكرنـا) اهــ.

ويقول الشيخ سيد قطب رحمه الله في الظلال: (إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية. كائنة ما كانت وإنها الدعوة للأوبة. دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال. دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله. إن الله رحيم بعباده. وهو يعلم ضعفهم وعجزهم. ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه. ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد . ويأخذ عليهم كل طريق . ويجلب عليهم بخيله ورجله . وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث! ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واه. وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا أفلت من يده الحبل الذي يربطه والعروة التي تشده. وأن ما ركب في كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا أو هناك؛ ويوقعه في المعصية وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم . .

يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون؛ ويوسع له في الرحمة؛ ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه على الصراط. وبعد أن يلج في المعصية، ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يقبل ولا يستقبل. في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندي اللطيف: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾..

وليس بينه وقد أسرف في المعصية، ولجَّ في الذنب، وأبق عن الحمى، وشرد عن الطريق ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخية، وظلالها السمحة المحيية. ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة. التوبة وحدها. الأوبة إلى الباب المفتوح الذي ليس عليه بواب يمنع، والذي لا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ اهـ .

و(عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَليه وسَلم يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «ابْنَ آدَمَ: إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ! ابْنَ آدَمَ: إِنْ تَلْقَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِهَا مَغْفِرَةً بَعْدَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا! ابْنَ آدَمَ: إِنَّكَ إِنْ تُذْنِبْ حَتَّى يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي») (صححه الألباني).

وباب التوبة مفتوح للعصاة والمذنبين، وتكفير السيئات واستبدالها بالحسنات للتائبين منَّة من الله وتفضل عليهم اسمع لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾. ويقول تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (النساء 31).

وختامًا نُذكِّر بالنعيم المقيم واللذة التي لا تنتهي ولا تزول، والحياة الأبدية السرمدية في الجنة لمن آمن وعمل صالحًا من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الدخان 51- 57).

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

والحمد لله رب العالمين.



موثّبة

قم للجهاد

قم للجهاد ولا تكن مرتابا ... فبغيره الطغيانُ لن ينجابا
قم للجهاد ونصرةِ الدين الذي ... من بعد عزٍّ صيروه يبابا
فالكفرُ يسعى جاهدا لحصاره ... ولمحوه قد جمّعوا الأحزابا
وتبجحَ الأرذالُ فوق ديارنا ... وتنصبوا بين الورى أربابا
في كل ناحية تطاير شُرهم ... وبكيدهم قلبوا الحياة عذابا
نبذوا كتابَ الله خلف ظهورهم ... فغدت بلادُ المسلمين خرابا
لو قام من يدعو إلى تحكيمه ... لرأيت من مكرِ الطغاة عُجابا
أما إذا ذُكر اليهود بمحفلٍ ... أبْدوْا هناك الوُد والتَّرحابا
شرحوا الصدور بحبهم وودادهم ... وتهلَّلوا بوجوههم إعجابا
نصروا اليهودَ ووطدوا أركانهم ... بل قبَّلوا لرضاهُم الأعتابا
بالأمس كانوا يندُبون لحربهم ... واليومَ قد صاروا لهم حُجابا
قل لي فهل آب اليهودُ لرشدهم ... أم أنهم ردوا لنا الأسلابا
كلا فهم آلُ اليهود وحزبهم ... كانوا ولا زالوا لهم أذنابا
لا لم يكونوا قطٌّ أعداء لهم ... لكنهم قد كشَّروا الأنيابا
كم مسلم في الأرض يهوى حربهم ... وبوجهه قد أوْصدوا الأبوابا
ولمثله عقدوا المجالسَ كلَّما ... ذاق اليهودُ من الرجال عذابا
ولمثله نادى المنادِي بينهم ... نصحا لهم أنْ حارِبوا الإرهابا
ولمثلهِ تلكَ الجيوش تجهزت ... ولحربه قد دُربت أحقابا
لا تنس (شرم الشيخ) حين تألبوا ... إذ أعْربوا عن خُبثهم إعرابا
واليومَ في (طهران) حيث تجمعوا ... ولحربه صارَ العِدا أحبابا
قم يا أخي واسلك طريقاً ظاهرا ... واتبع رسولَ الله والأصحابا
واترك بُنياتِ الطريق وقل لهم ... من حاد عن دربِ الهدى قد خابا
لا تسمعنَّ لمرجفٍ ومخذل ... قد تابعَ الأعرابا
واحمل على أعداءِ دينك كلهم ... سيفا صقيلا لم يزل ضرَّابا
دع عنك تسويفَ النفوس وكن لهم ... حربا ضروسا لا تكن هيَّابا
ستنالُ إحدى الحسنيين فلا تكن ... عند اللقاء بجيشهم هرَّابا
إن الجهاد سبيلُ من عرف الهدى ... فيه الشفاء لكلِّ من قد رابا
واصبر وصابر واتقِ المولى إلى ... أن تسحقَ الأصنام والأنصابا

